الملك الدستوري صاحب الجلالة فؤاد الاول

مقتطف ابريل ١٩٢٤

امام الصفحة ٣٦١

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الرابع والستين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٢٤ — الموافق ٢٦ شعبان سنة ١٣٤٢

البرلمان المصري

والحكم النيابي في التاريخ

ذكر الفيلسوف ارسطو فيما كتبهُ عن السياسة ان الحكم في الامة يتولاهُ اما فرد او جماعة او الشعب كلهُ . فاذا تولاهُ الفرد كانت الحكومة ملكية واذا تولتهُ جماعة قليلة كانت الحكومة ارستقراطية واذا تولاهُ الشعب كلهُ كانت الحكومة دستورية او شعبية . ولا تفاضل بين هذه الانواع من الحكومات اذا قامت بما يُطلب منها لان الغاية من كل حكومة اقامة العدل وتوطيد الامن والسهر على مصالح الرعية فاذا بطلت هذه الغاية وانقلب الحكم وسيلة لتحقيق مآرب الحاكم سواء كان فرداً او جماعة فسدت الحكومة وضاعت الغاية من وجودها

ولعلَّ اقرب الانظمة السياسية القديمة الى الحكومة الدستورية الحديثة النظام الذي جرت عليهِ اثينا ورومية حوالي القرن الخامس قبل المسيح فكانت الحكومة في كلتيهما شعبية جمهورية باوسع المعاني . ومما ساعد على ذلك ان الدولة كانت صغيرة تشمل المدينة وحدها ولا تتعداها الاَّ الى ما حولها من القرى والدساكر وكان عدد السكان قليلاً لا يزيد على عشرة آلاف نفس ما عدا اثينا فانها بلغت نحو عشرين الفاً فسهل عليهم ان يقوموا باعمال الحكومة بنفوسهم فكانوا يؤمون المجتمعات السياسية العامة (كالاكليزيا في اثينا) لينتخبوا الحكام ويفصلوا فيما يهمهم من الشؤون . لذلك لم يكونوا في حاجة الى انتخاب من ينوب عنهم في تلك المجتمعات

على ان الحكم في اثينا ورومية لم يبقَ جمهوريًّا بحتاً حينما خرجتا عن حدودها الضيقة وازدادت فتوحاتهما ولاسيما فتوحات رومية واتسع نفوذها وصار من اللازم

استنباط نظام سياسي يشمل جميع الولايات التي خضعت لها ولاسيما ما كان منها في ايطاليا حتى يشعر سكان هذه الولايات انهم يشتركون مع العاصمة في ادارة شؤون البلاد ومستعمراتها الواسعة . لكن فلاسفة الرومان وواضعي القوانين منهم مع ما اتصفوا بهِ من الحذق السياسي وبعد النظر في وضع القوانين لم يهتدوا الى نظام التمثيل السياسي فبقيت العاصمة مسيطرة على شؤون البلاد وانتقلت السلطة فيها رويداً رويداً الى يد رجل واحد فكان النظام الامبراطوري المعروف

ثم انهارت الامبراطورية الرومانية الغربية امام هجمات القبائل الشمالية المتكررة وانتشر في اوربا نظام الاقطاع . وهذا النظام يستدعي شيئاً من « النيابة » او « التمثيل » فامير الاقطاع كان يدعو في اوقات المحن والحروب رجالاً يمثلون المقاطعات المختلفة في امارتهِ للبحث فيما يجب فعلهُ لدرءِ هجمات العدو وما يجب على كل منهم تقديمهُ من رجال وذخائر ومؤن . فكان في هذا العمل جرثومة التمثيل السياسي او النظام النيابي كما هو معروف في عصرنا

وخرجت اوربا من ظلمات القرون الوسطى وقد تعزز في انحائها الروح القومي فسما بالطبقات الوضيعة عن مصاف العبيد وصارت تشعر بوجوب الاشتراك مع الملك والامراء ورجال الدين في تدبير امورها الى ان كانت الثورة الفرنسوية فالقيت فيها مقاليد الامور الى الشعب

لكن النظام النيابي بمعناهُ السياسي الحديث نشأ في انكلترا نشوءًا تدريجيًا وذلك ان الملك ادورد الاول نشر دعوة سنة ١٢٩٥ جاء فيها ما ملخصهُ « اننا ندعو الامراء وكبار رجال الدولة للبحث في الادواءِ التي تنتاب البلاد وكيف يجب ان نعالجها . ولذلك ندعو اثنين من كل مقاطعة ومدينة ودائرة (بورو) ممن عُرفوا بالحكمة والاخلاص والكفاءة ويجب ان تعطى لهم السلطة الكافية لاقرار ما يحسب صالحاً للبلاد بالاتفاق العام لكي لا يبقى العمل ناقصاً » . هذه هي الجرثومة التي نشأ منها البرلمان الانكليزي اقدم المجالس النيابية في التاريخ واكثرها مرونة . وهو مع ذلك لا يقوم على دستور مكتتب كالدستور الاميركي او الفرنسوي او المصري بل على تقاليد جرى عليها قروناً فصارت بمثابة القانون المكتتب

ولا يخفى ان البرلمان الانكليزي مؤلف من مجلسين اعلى ويسمّى مجلس اللوردات واوطأ وهو مجلس العوام او النواب. وعدد الاعضاءِ الآن في المجلس الاعلى نحو ٧٢٦ وفي مجلس النواب نحو ٧٠٧ . ولا يعتبر المجلس الاعلى اي مجلس اللوردات غير

نيابي لانهُ وراثي بل هو نيابي بمعنى ان اعضاءهُ يمثلون طبقتين من طبقات الشعب الانكليزي هما رجال الدين واصحاب الاملاك الواسعة . وسبب تفوق مجلس النواب

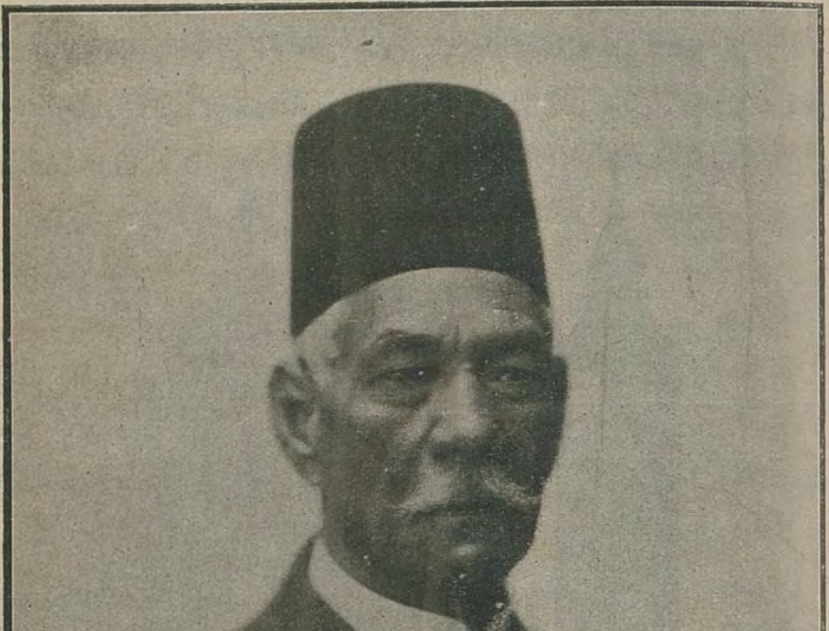

صاحب الدولة سعد زغلول باشا رئيس الوزارة الدستورية الاولى في مصر

عليهِ انهُ يمثل الطبقة الثالثة من الشعب الانكليزي وهي اوفر عدداً واكثر قوة وفي يدها زمام الامور السياسية والمالية

ويتلو البرلمان الانكليزي في القِدَم البرلمان الاميركي ويدعى الكنغرس وهو اقدم برلمان أُلّف حسب نظام مكتتب وذلك سنة ١٧٨٠ وهو مجلسان ايضاً مجلس الشيوخ او السنا وفيها ٩٦ عضواً اي نائبان من كل ولاية من الولايات المتحدة سواء كانت الولاية صغيرة أو كبيرة ومجلس النواب وعدد اعضائهِ نحو ٤٣٣

ومما يحسن ذكرهُ في هذا الصدد ان الحكومة الانكليزية حكومة «برلمانية» في عرف علماءِ السياسة اي ان الوزارة فيها من مجلس نوابها وهي مسؤولة لهُ عن اعمالها فاذا فقد المجلس ثقتهُ فيها وجبت عليها الاستقالة

قصر وستمنستر دار البرلمان الانكليزي اقدم المجالس النيابية

اما الحكومة الاميركية فليست حكومة «برلمانية» من هذا القبيل اي ان وزراءها ليسوا من مجلس نوابها ولا هم مسؤولون لهُ عن اعمالهم بل لرئيسهم الذي يعينهم وهو المسؤول للكنغرس عن السياسة التي يتبعها وذلك لكي يتم الفصل التام بين فروع الحكومة الثلاثة اي بين القوة التنفيذية والقوة التشريعية والقوة القضائية وهو في راي بعض علماءِ السياسة كمنتسكيو ارقى مراتب الحكومة

لكن الامر الذي يبدو لاكثر الباحثين في احوال السياسة والعمران ان النظام الانكليزي اكثر من النظام الاميركي مرونةً ومماشاة لمقتضى الاحوال وقد جرت

عليه معظم الدول الدمقراطية سواء كانت ملكية كايطاليا واليابان ومصر او جمهورية كفرنسا وسويسرا

ويقال ان النظام الملكي المقيد بمجلس نيابي مؤلف من مجلسين كما في انكلترا وايطاليا ومصر واليابان خير الانظمة السياسية في هذا العصر واثبتها على تقلبات العمران واضمنها للمحافظة على الغاية من وجود الحكومة . فالملك في الحكومة الملكية المقيدة يمثّل تاريخ البلاد وتقاليدها وعزّها وكلّ ما يلتفُّ من آمال الشعب ورغائبه حول شخصه المعنوي . كذلك تكفل الوزارة النيابية القيام باعمال الحكومة كما في كل الجمهوريات

والظاهر ان الدستور المصري من خير الدساتير من هذا القبيل فقد جمع مزايا اكثر الانظمة السياسية القديمة والحديثة ومداره على ملك وبرلمان ووزارة برلمانية . والبرلمان

الكابتول دار الكنغرس الاميركي بواشنطون

المصري مؤلف من مجلسين اعلى وهو مجلس الشيوخ واوطأ وهو مجلس النواب . واعضاء مجلس الشيوخ عددهم ١١٩ ينتخب منهم ٧١ عضواً ويعين جلالة الملك الباقين ويجب ان تكون سنُّ العضو في مجلس الشيوخ ٤٠ سنة على الاقل وينتخب او يعين ليقيم عشر سنوات . اما مجلس النواب فاعضاؤهُ ٢١٤ وينتخبون جميعهم لخمس سنوات ويجب ان تكون سن الواحد منهم ثلاثين سنة على الاقل

وقد جرى الاحتفال بافتتاح البرلمان المصري يوم السبت في ١٥ مارس الماضي

فكان احتفالاً فخماً سار فيه جلالة الملك من قصر عابدين الى دار البرلمان بين تهليل الجماهير وهتافهم والى جانبه صاحب الدولة رئيس الوزراء فاقسم يمين الاخلاص للامة والدستور ثم دفع خطاب العرش الى دولة رئيس الوزراء فقرأه على الحاضرين وهذا نصهُ :

خطاب العرش

حضرات الشيوخ . حضرات النواب

اهديكم اطيب سلامي . وأحيي فيكم ممثلي شعبي الكريم . وأهنيكم منتخبين ومعينين بالثقة العظمى التي حزتموها لتؤلفوا اول برلمان مصري تأسس على المبادىء العصرية واحمد الله ان تحققت بتأسيسه أمنية من أعز اماني واول رغبة من رغبات أمتي الشريفة

اليوم تدخل في دور التنفيذ النظامات النيابية التي قررها الدستور . ولا ريب في انها تبشر باقبال عصر جديد من القوة والسعادة على بلادنا المحبوبة

لقد وضعت البلاد فيكم ثقة عظمى . والقت بها عليكم مسئولية كبرى . فامامكم مهمة من ادق المهمات وأخطرها . اذ يتعلق بها مستقبل البلاد . وهي مهمة تحقيق استقلالها التام بمعناهُ الصحيح . ولا شك انكم ستعالجونها بروح من الحزم والحكمة والروية . وانكم ستجدون من أهم مسهلاتها الاتحاد المقدس الذي لا انفصام له بين العرش والامة . والذي توثقت اليوم عراهُ بالقسم العظيم الذي اقسمناهُ . وستؤدونهُ أنتم عما قليل

لهذا يحق لي ان اصرح علناً باسمي وباسمكم أن حكومتي مستعدة للدخول مع الحكومة البريطانية في مفاوضات حرة من كل قيد لتحقيق الآمال القومية بالنسبة لمصر والسودان مملوءة من الرجاء في الوصول اليها بقوة حقنا وعناية الله القدير

ومن أهم وظائفكم أيضاً ان تساعدوا الحكومة وتشتركوا معها في ادارة البلاد على الطريقة التي رسمها الدستور . وهي الطريقة المؤسسة على التعاون بين سلطات الدولة وعلى مبدأ المسؤولية الوزارية . ولقد وضعت هذه الطريقة على الحكومة وعلى البرلمان واجبات : فعليها تنفيذ مبادىء الدستور وتطبيق أحكامه بروح تامة من الحرية والديمقراطية . وعليه ان يتمم التشريع بوضع القوانين الناقصة التي أشار الدستور اليها . وان يعيد النظر في القوانين المعمول بها خصوصاً ما يعرض منها

على الجمعية التشريعية بسبب ايقاف اعمالها . وان ينظر في قانون الانتخاب بما عليه عليه نتيجة الاختبار

وستعرض عاجلاً على مجلس النواب ميزانية الحكومة للسنة القادمة ويتبين منها ان الايرادات والمصروفات متعادلة . وان المال الاحتياطي زاد زيادة عظيمة سيكون لها أحسن أثر في سمعة البلاد المالية غير ان هذا لا يعفي من التزام الحزم في السياسة المالية . بل يجب اجتناب كل ما من شأنه تكليف الخزينة بنفقات لا ضرورة لها ولا

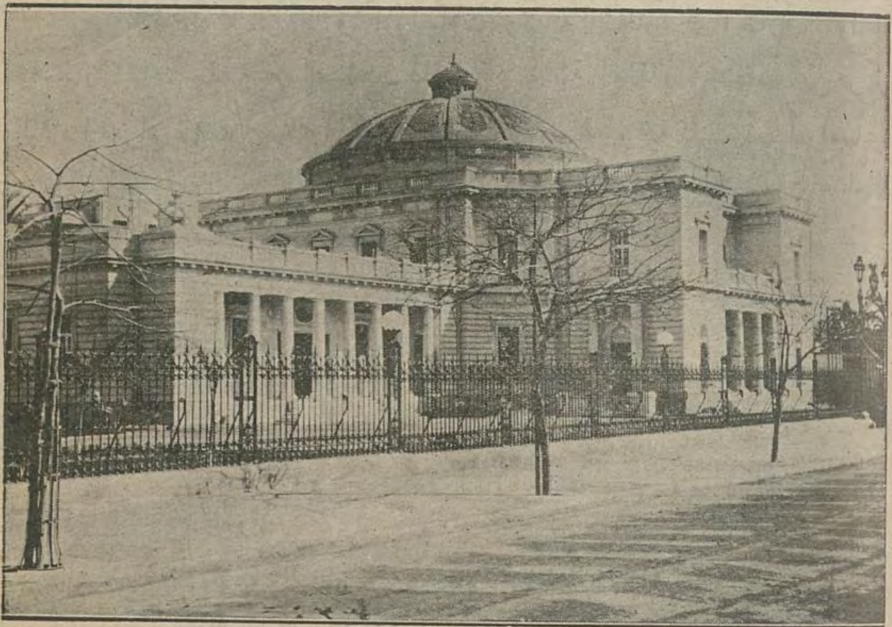

دار البرلمان المصري

يكون من وراء انفاقها تحسين في الادارة . ورعاية الاقتصاد في الوظائف حتى لا يكون منها ما هو فوق الحاجة . وفي المرتبات حتى لا تزيد على قيمة العمل المقررة لها

ويجب اصلاح الادارة الداخلية بتقسيم المصالح المختلفة . وتوزيع الوظائف المتنوعة وتحديد اختصاصها على وجه يضمن سهولة العمل وسرعته وانتظامه ويبعث في نفوس الموظفين روح الجد والنشاط . والشعور بالمسؤولية والحرص على النظام كما يضمن لهم حقوقهم ويكفل السير على طريقة عادلة في التعيينات والترقيات . أما الضرائب الحالية فيجب تجنب الزيادة فيها . غير انهُ ينبغي النظر في مراجعتها . وتكميل نظامها . لا لمجرد زيادة دخلها وتوزيعه توزيعاً اعدل بل ايضاً لتقرير رسوم

على الايرادات المعفاة بغير حق من الضرائب في الوقت الحاضر

وغير خاف ان مراقبة المصروفات العامة بالدقة وحسن الانتباه وتقوية نظام الضرائب يضمنان انتظام الميزانية وثباتها ويسمحان باستئناف مشاريع الاعمال العامة التي اهملت من سنوات

ومن اللازم حماية ثروة البلاد الزراعية وتنميتها بنسبة زيادة السكان وهذا يستلزم المبادرة الى حل المسائل الخاصة بتحسين طرق الري والصرف وتوسيع نطاقها

ومن الواجب تحسين طرق المواصلات وتنمية التجارة على اختلاف انواعها واستثمار المناجم وتشجيع الصناعات المصرية الحديثة العهد والاستفادة من مركز البلاد الجغرافي واصلاح حالة الامن والصحة العمومية وترقية المرأة أدبياً واجتماعياً وحماية الامومة والعناية بالاطفال واتخاذ التدابير الاجتماعية اللازمة لحماية العمال ونشر التعليم بنوعيهِ الاولي والراقي

وعلى مصر ان تتبوأ مكانها بين الدول بايجاد علاقات الوداد وتوكيدها مع جميع الدول من غير تفضيل ولا امتياز يخالف مبدأ استقلالنا التام

والامل وطيد في ان تتوج حريتنا السياسية بدخول مصر في جمعية الامم كدولة تامة الاستقلال

ايها الشيوخ والنواب

ان مهمة الحكومة والبرلمان كبيرة خطيرة شاقة منها ما اشرت اليهِ ومنها ما هو معروف لكم من كل ما فيهِ خير البلاد وتقدمها . ولكني عظيم الثقة في ان هذه المهمة تتم تدريجاً بفضل الروح القومية التي بعثت في شعبي الكريم قوة جديدة وملأتهُ حمية للعمل وغيرة على خير الوطن

ويملأ قلبي سروراً ان افتتح الدور الاول للبرلمان وادعوكم للبدء في اعمالكم داعياً الله تعالى ان يسدد خطواتكم وان يوفقني واياكم لما فيهِ خير البلاد

***

وقد وردت التهانئ على حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول وعلى حكومتهِ من ملك انكلترا وملك ايطاليا ورئيس جمهورية فرنسا ورئيس وزارة بريطانيا ورئيس وزارة ايطاليا وبرلمان نروج

رسائل الاحزان(١)

في فلسفة الجمال والحب

ايام لبنان

فجرُ الهوى من ثغرها البسّام مُتَطايرُ اللّمحات فوق ظلامي
رفّتْ عليّ ظلالُهُ وتنفّستْ بندى الشباب على فؤادي الظامي
ذهبتْ همومٌ حزتُ في اسمائها واتت همومٌ ما لهنّ أسامي
في حبها والحبُّ في بأسائهِ أهنا لأهليهِ من الإنعام
حسناءُ صوّرها الهوى في صورة كادت تُعيد عبادَة الأصنام
في مَنْظَر الاقمار ألمحُ وجهها وتُحسُّ في لمس النسيم غرامي
ولكهرباء الحب من لحظاتها سيّالُها المتدافع المترامي
ينسابُ في مجرى دمي متلهّباً فكأنهُ تيّارُ بحر ضرام
يا كهرباءَ الحب رفقاً إنما هذي «الانابيب» الضعاف عظامي

***

ذهب المنام ومن يُذكّرْهُ الهوى قمراً فلا يلقى الدُّجى بمنام
يا ليلُ انت صحيفة ملءُ الفضا ءِ وما بها سطرٌ من الأحلام
في كل نجم من نجومك بَسْمَة وقفتْ تُشيرُ الى الهوى بسلام
وكأن أُفْقك والنجوم سُطورُهُ تاريخ ما أسلفتُ من أيامي
متألّقُ الجنبات، مشبوبُ الضيا خضلُ الندى، صافي الشمائل سامي
يا ليلُ أين الفجرُ. أين زمامُهُ أيام يُمسكهُ الهوى بزمام
أيامِ (لبنان) وكانت ساعةً غفرتْ ذنوب الدهر في اعوام
غَفلَ الزمان هناك من غفلاتهِ ففررتُ للذّات من آلامي
وقطعتُ من ثوب الشباب عصابةً وربطتُ من جرْح الحياة الدامي
ومضيتُ أصعدُ ذرْوةً في ذِروة كالنجم مشتملاً عليّ غمامي
في كل منزلة وكلّ ثنيّة يضع الهوى قمراً يضيءُ أمامي

(١) تحت الطبع ويصدر في اواخر ابريل

وعلوتُ حتى عن امانيّ الحيا ة وغبتُ حتى غبتُ عن اوهامي
وسموتُ في أُفقٍ يذوبُ نسيمهُ شغفاً اذا ما اهتزَّ غصنُ قوام
افق يُطلُّ على الحياة وهمّها إطلال مغفرةٍ على الآثام

***

لبنانُ فنٌّ في الطبيعة قائمٌ دقَّتْ محاسنُهُ على الافهام
متكبّرٌ حتى على إكبارها متعظّمٌ حتى على الإعظام
قممٌ تغطَّى بالسماء كأنها في الكون أمثلةٌ على الإبهام
شُمٌّ فوارعُ علّمت ابناءها عند الحوادث كيف رفعُ الهام
ومَدارجٌ تُنْبيك مُنْحَدَراتُها ان الحياةَ مذاهبٌ ومَرامي
تركتْ بنيها أينما حكمتْ بهم نفذوا على الأسباب كالأحكام
وترى هنالك كلَّ شيءٍ ناطقاً أن لا يعيش هنا سوى المقْدام
جَبَلٌ تَمَنَّعَ في الطبيعة عِزَّةً ومَهابةً كالناب في الضِّرْغام
يتقلَّبُ التاريخُ من ابنائهِ في الغُرّ بين فوارس وكرام
فالفوزُ لم يَبْرحْ على أرْجائهِ من مَبْسَمٍ او من فِرِنْدِ حُسَام
جَبَلٌ اذا وصفوا الرواسيَ لم يكن أبداً لصدر الأرضِ غيرَ وِسَام

***

يا نَفْحةَ الجنّاتِ من تلك الرُّبَى كم ذا يطولُ تلهُّفي وهُيَامي
بيني وبينكِ بحرُ دمعٍ يَرْتَمي من عين مهجور وَبرّ خِصام
لَهْفي على ريح الشّام ونَظْرةٍ من أرضها لهوًى هنالك نامي

***

أرضٌ بنوها الصِّيدُ كيف تَواثَبُوا عنَتِ الحياةُ لهم بكل مرام
حملوا النُّبُوَّةَ وهْي روحُ بلادهم ومضَوْا بوحي العزم والإقدام
فهُمُ بأيِّ الارض حلَّ نزيلهم قومٌ قضت لهمُ السما بعِقَام
أرض كساها الوحيُ جوّاً عاطراً وبنى لها أفُقاً من الأنغام
الله زيَّنها بكل بديعة باحت بأسرارٍ من الإلهام
فهنا يريك الحسنُ صفحةَ شاعرٍ وهنا يُريك صحيفةَ الرسَّام
والحسن مختلفُ المواطن في الورى لكنما حسنُ الطبيعة شامي

مصطفى صادق الرافعي

من كتاب ملوك العرب [1]

صنعاء اليمن

في صباح اليوم الثاني عشر (١٨ نيسان سنة ١٩٢٢) بعد خروجنا من لحج وصلنا الى حزْيَز . وهي آخر مرحلة في رحلة مشقاتها تنسي المسافر ما فيها من الحسنات والمستغربات . ولكن أثر المشقات يزول فتعود الحسنات الى مقامها في الذاكرة وفي الفؤاد . اني وانا اكتب الآن اتمتع بها واستأنس بترداد ذكرها . كأني في رحلة اخرى الى صنعاء ، لا مشقة فيها ولا عناء

بتنا الليلة السابقة في وعْلان ، وهي قرية صغيرة على مسافة خمسة عشر ميلاً من صنعاء ، وخرجنا منها باكراً فأحسست ببرد شديد يُستغرب مثلهُ في الدرجة الخامسة عشرة عرضاً من الارض . ولكننا اصبحنا كذلك في علو يدنو من عشرة آلاف قدم فوق البحر . هذا هو السبب في استقبالنا تلك الساعة طقساً الى الشمال . على ان الشمس ، شمس اليمن ، لتنحر بقرن صغير من قرونها الذهبية كل ريح يهب فتدميها ، ثم تحييها ، وترسل الحرارة فيها

وصلنا الى حزيز ، وما هي الاَّ بضعة بيوت وسمسرة [2] ، ساعة الضحى فجلسنا هرباً من الشمس في فيء حائط نتناول الفطور . وكان مما قام حولنا من الجبال اثنان شهيران بما ينبتان ويجاوران . وهما (بنومطر) غرباً ، وفيهِ احسن ما يزرع في اليمن من البن ، و (نُقُم) شمالاً ، وفي ظلهِ اكبر واجمل مدينة في اليمن ، بل في شبه الجزيرة العربية كلها

وما هي الاَّ ساعة بعد ارتحالنا من حزْيز حتى تراءت لنا رؤوس المآذن في تلك المدينة ، ثم قباب مساجدها وهي بيضاء تتوهج في نور الشمس الذي يترجرج كالزئبق في الجاف الشفّاف من الهواء . ثم ونحن ندنو من (نقم) الذي اصبح على يميننا ، بدت لنا المدينة ذاتها وهي محوطة بالجبال تمتد شرقاً وغرباً ، كأنها في حلتها البيضاء سلسلةٌ من التلال الكلسية ، في سهلٍ ذهبي متقطع الاخضرار

---

(١) وهو تحت الطبع في المطبعة العلمية لصاحبها يوسف صادر ببيروت

(٢) السمسرة في اصطلاح اهل اليمن الخان

اثنا عشر يوماً من المشقات والوهلات ، وهذه صنعاء تنسيك اضعافها . أي صنعاء ، مثّلتك لنا التاريخ فكنت مليكة الزمان ومثّلتك لنا العلم فكنت يوماً ربة العرفان ، ومثّلتك لنا الاساطير فكنت سيدة الجن والجان . وكم من ليلة ، وفي اليد الكتاب والى جانب الكتاب نور شمعة ضئيل ، تغلغلنا في سراديبك ،ووقفنا عند كنوزك ، وطفنا حول قصورك ، وسمعنا الشعراء ينشدون الشعر في دورك . واليوم ، ومطيتنا غير الخيال ، نشاهد ما يثبت المقال ، ويحقق الامال . هذه بيوتك العالية وقصورك الشاهقة فما كذب التاريخ . وهذا جمالك الطبيعي وبهاؤك العربي فما كذب الشعر . وفي خزائنك الكتب النفيسة والمخطوطات فما كذب العلم .وهذه كنوزك وسحر قصورك بل سحر الاسماء فيك فما كذبت الاساطير وكنا نظنها اسماء ابتدعها الشعراء لعرائس الجن والخيال . ولكنها من الحقيقة في اعلى مكان . أفما صعدنا واياك ايها القارىء في نقيل(١) السيّان ، واجتزنا وادي نخلان ، وعمنا في يريم ووعلان ، وقيّلنا في ظلّ بُغدان ، وها نحن نشرف على قصر غمدان !

اجل ان صنعاء في محاسنها لا تخيب للزائر املاً . وكلما دنوت منها ، وهو عكس الحقيقة في اكثر المدن ، ازداد رونقها وازداد اعجابك بها . هي في مقامها الطبيعي فريدة عجيبة . فيها الهواء اعذب من الماء ، والماء أصفى من السماء ، والسماء اجمل من حلم الشعراء . وفيها البرد ، وقد علت تسعة آلاف قدم عن البحر ، يستحيل ، وقد قربت من خط الاستواء ، دفأً . وهي قائمة في قاع سنحان ، تزينها من جهة (الروضة) وفيها البساتين والكروم ، ومن جهة اخرى (الحوطة) وفيها السواقي والطواحين . وتحيط بها الجبال دون ان تقصّر ارجاءها . اقربها اليها (عُصُر) ، وهو يظلل المروج في الاصيل ، و(نُقُم) ومنهُ تجري المياه الى المدينة وفيهِ تلغراف المرايا يوصل اوامر الامام من قنة الى اخرى .وهذا (عِشار) وفيهِ الرخام والمرمر . وذاك (آنِس) في الجنوب و (شِقْوان) دونه شرقاً وفيهما معادن الطَلْق . وهناك (رِضْراض) وفيهِ معدن الفضّة . وهنالك (شِبَام) شمالاً بغرب وفيهِ من الحجارة الكريمة الجزع والعقيق

وصلنا الى صنعاء الظهر فلاقانا على مسافة ميل خارج السور رجال الامام وثلة من جنودهِ . وسرنا في موكب الفناهُ وما ملناهُ . لان (الزامل) اي نشيد

(١) النقيل في اصطلاح اهل اليمن هو الطريق السالكة في الجبال العالية

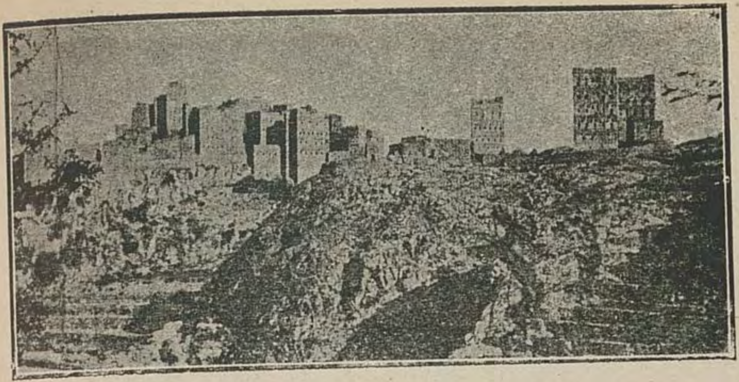

(١)

(٢)

(٣)

(١) مباني هجرة في الطريق الى صنعاء (٢) بوابة صنعاء (٣) سوق في بير العزب بصنعاء

مقتطف ابريل ١٩٢٤
امام الصفحة ٣٧٣

الزيود[١] عكس ثيابهم المنيّلة،[٢] راقنا جدًّا. وكنا كل مرة يقفون فيهِ عند القرار الغريب الرهيب بمثلهم على العدو زاحفين وبمجرد الزامل غالبين منتصرين

سرينا على مَوْر (نهر معروف) حل (وقت) السحر
ليلة مغدرة (مظلمة) ما قمرها هليل (ما هل فيها قمر)
واصبح الصبح وِحنّا (نحن) براس النقيل
فنِحور (في نحور) العدى غارسين الفتيل
نعقر جوادهم مثل عقر البقر

ساروا وهم يهزجون فمروا ببوابة عدن الجميلة الهندسة والبناء والى جانبها خارج السور ثكنة كبيرة شيدها الترك. ثم حول السور غرباً الى بوابة اخرى، افضت بنا الى ساحة فسيحة بين صنعاء والحيّ الجديد منها الذي يدعى (بير العزَب). وهناك شاهدنا وسمعنا في مظاهر الاستقبال اليمانية مشهداً اخر كان لهُ في لبنان مثيل. هو «المشوبش» وفي اليمن يدعى «الدَوشن» شرع يصيح مرحّباً بنا صياحاً فيهِ نبرات وغنات جمعت بين رديء الخطابة والنشيد، علمنا منها اننا نور شمس الكمال، وقمر الفضل والجلال، وغيرها من آيات الجمال

وعندما وصلنا الى (بير العَزْب)، وهو الحي الذي يسكنهُ اغنياء صنعاء وفيهِ قصور الامام ومركز الحكومة، ودخلنا البيت الذي اقمنا بعدئذٍ فيهِ، كان الخيال في الانتقال الى لبنان والى الشام ابهج واتم. البيت صغير ولكنهُ في الذوق واسباب الراحة كبير. ردهة الاستقبال فيهِ تشرف على صحنٍ في وسطهِ شاذروان، وحولهُ القرنفل والريحان، وفوقهُ تتدلى اغصان المشمش والرمان، يغرد فيها القمري والحسون، وتتلألأ خلالها الشمس فتكلل حبال الماء المتصاعد من البركة لجيناً رجراجاً

أما سرورنا الاكبر في اليوم الاول ففي مائدة، على طاولة، تحت المشمشة، عند الشاذروان بادرنا اليها وعيوننا لا تصدق ان الكرسي كرسيًّا، وان في ايدينا الشوكة والسكين، وان ما نأكل قد طبخهُ طبّاخ متمدن، وان بالغ بالابازير. ثم سألنا ونحن في ذا النعيم عن النعيم الاخر — الحمّام. فقال السيد محمد زبَاره، وهو

(١) اي الزيديون نسبة الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
(٢) هم يصبغون ثيابهم بالصباغ النيلي الازرق ويلبسونها والنيل فيها لا يزال رطباً

وزير المالية ووكيل الضيافة عند الامام: الحمّام يوم وصولكم لا يجوز. ولكني عرفت في اليوم الثاني عندما زرت الحمام ، الذي ارسلنا مصحوبين بجندي اليه ، ان للتأجيل سبباً آخر فيه دليل على ذوق السيد محمد ولطفه . فقد بعث الى صاحب الحمام يأمره بتنظيفه واعداده لنا — لنا وحدنا . ثم عرفت في اليوم الثالث ان السبب الاول في ذلك هو التحذر من اجتماعنا بالناس ومحادثتهم . وذلك عملاً بامر الحضرة الامامية الشريفة التي كانت يوم وصولنا متغيبة في الشمال لتحسم خلافاً بين الحواشد وعيال سريح استفحل امره . وقيل لنا في الطريق ان بعض رؤساء تلك القبائل كانوا يخابرون السيد الادريسي لينضموا اليه وينصروه على الزيود . ولما اخبر الامام بقدومنا أمر الاّ نقابل احداً من الناس قبل رجوعه

ولكن في اليوم الثاني زارنا احد رجاله الكبار القاضي عبد الله العمري وهو يد الامام اليمنى ورئيس ديوانه ، فاستأنسنا بحضرته وسررنا بحديثه . الفيناه على جانب كبير من الفضل والاتضاع ، ومن الحكمة والتساهل ، فحملتنا زيارته على المقارنة بينه وبين اولئك المتبجحين امراء الجيش وشكرنا الله ان في رجال الامام من ينظرون الى الامور من وجهة عالية حديثة ، ويحسنون الرأي والموازنة

سألنا زائرنا عن زميله القاضي عبد الله العرشي فاجبناه بما نعلم فقال : له سنة في عدن ولم يفعل شيئاً (اي في مخابراته مع الانكليز بخصوص الحديدة) وسألناه نحن عن عمال الحكومة والسبب في الرهائن فقال : النقص موجود وبعض الخلل . ولكنها نتيجة غيرة أخطأت السبيل . الشافعي والزيدي اليوم متساويان . وحضرة الامام عالم عادل ، سديد الرأي ، سمح الخلق ، قويم الخطة ، لا يعرف في اقامة الحق غير الشرع . ولا يفرق بين الكبير والصغير او بين الزيدي والشافعي . ولكن هناك بعض الذين يغالون ولا يعقلون . نيّاتهم حسنة اما غيرتهم فقد اخطأت كما قلت السبيل . . . نعم حضرة الامام يضبط الامور بيد شديدة . لولا ذلك لما كنت ترى العدل والامن والاقبال في انحاء البلاد كلها ، الاّ في الاطراف حيث لا يزال بعض الاضطراب

وكانت هذه من القاضي عبد الله اولى الزيارات واخراها اثناء غيبة الامام ، وما علمنا السبب في ذلك . الاّ اننا كنا راغبين في مقابلة رجل آخر كان معنا كتاب توصية اليه فاستأذنا السيد محمد زَباره فقال : حينما يرجع الامام . وراح ذات يوم خادمنا الى المدينة فعاد يحدّث بما شاهد فيها من العجائب والغرائب فاستأذنا السيد

محمد في زيارتها بينما نحن ننتظر رجوع الحضرة الشريفة ، فما اذن بغير الطواف حول السور ، وارسل معنا عسكريين وأحد المأمورين . مشينا في طريق واسعة بين الحقول المزروعة والسور الكبير وهو مبني من اللبن والطين، ووقفنا بعد نصف ساعة عند بوابة الشام فيه ، اي بوابة الشمال . فتباحث اذ ذاك المأمور والجنود وكنت قد سألتهم ان ندخل المدينة وكانوا قد ملّوا المشي في الشمس على ما اظن . فأسفر البحث عن اجابة طلبتي بشرط أن لا يعلم السيد محمد بذلك . دخلنا المدينة وقد تعهدنا بكتم الخبر وجلنا في احياء السكن منها لا في اسواق التجارة

ان صنعاء مدينة عربية صافية روحاً وشكلاً . اسواقها مثل اسواق جدة غير مرصوفة ولكنها اوسع وانظف . اما بيوتها العالية ، وبعضها ست طبقات ، فهي اتقن بناء واجمل هندسة . لان الاسلوب العربي فيها لا يشوبهُ شيء اجنبي هندي او اوربي . وهي مبنية بالحجارة البيضاء والسوداء وبعضها بالقرميد والبعض باللبن . وبين كل طابق والآخر زنارٌ من الجص الابيض المنقوش اشكالاً هندسية . وفوق كل نافذة كوّة فيها لوح من المرمر يكاد يكون كالزجاج رقيقاً شفّافاً . ولكنهُ امتن من الزجاج واجمل . ولاكثر البيوت في الطابق الاخير غرفة واحدة هي غالباً مطلوقة الجهات من الاربع تشرف على المدينة وتدعى المنظرة . وهم يستخدمونها للاستقبال والقيلولة فيفرشونها بالطنافس والمساند والوسائد . ومنهم من يستعملون الزجاج الملون في النوافذ فيقسّمونهُ اشكالاً هندسية ، ويلونونهُ بالاحمر والاصفر والاخضر والازرق . اي الاصباغ الاربعة التي يصنعونها في اليمن يستخرجونها من النبات

امّا الاحياء فتختلف رونقاً ونظافة . كان رفيقي ، ونحن ننتقل من حيٍّ الى آخر كانتا نبحث عن بيت نقيم فيه ، يقول : هذه الدرجة الاولى اي احسن البيوت في المدينة ، وهذه الثانية ، وهذه الثالثة . واهل اليمن، او بالحري اهل صنعاء مثل سكان المدن كلها ، لا ينقسمون الى ما يتجاوز ثلاث طبقات . اما لو كان في جوارها او فيها من البدو لكانت الطبقة الرابعة في المضارب خارج السور

ما عرفتْ اليمن اثناء الحرب ولا تعرف حتى اليوم غلاء المعيشة والأجور. أن مجرد ذكر اجرة البيت في صنعاء ليشوق اخواني في مصر ونيويورك الى الاقامة فيها وقد يحمل بعضهم على السفر حالاً الى اليمن . هذه بيوت طبقاتها من الثلاث الى الست ، وهي من الدرجة الاولى اي في احسن حيٍّ من المدينة ، وفيها المنظرات ،

والمرمر ، والزجاج الملون ، وما اجرة الواحد منها شهراً غير اربع ريالات نمساوية اي اربعون غرشاً مصريًّا . اما في الدرجة الثانية فالاجرة ثلاث ريالات . ويمكنك ان تستأجر بيتاً في الدرجة الثالثة ذا ثلاث طبقات ، لهُ زناران من الجص وكوات من المرمر بريالين فقط . اما المعيشة فلا تقل حسناً ولا تزيد نفقة بالنسبة الى البيوت(١)

وهم مع ذلك يشكون — يشكون وقوف الاشغال ، وقلة المال ، وعسر الاحوال . ومنهم من ينسبونها كلها الى حكم الامام . ومنهم الى الله وحدهُ ومنهم العاقلون اللذين يبرئون الله والامام من شرور هذه الايام ، وقد وصل بعضها الى اليمن عن طريق السياسة ، سياسة الترك بالامس وسياسة الانكليز اليوم . اما الامام ففي مقاومتهِ هذه الاخيرة كما قاوم تلك يكثر الضرائب ، ويذخر الاموال ، فتقل ولا غرو في ايدي الناس فتسبب قلتها وقوف الاشغال وعسر الاحوال . ناهيك بما يعتري اليمن دائماً من الاضطراب والشقاق والضعف الناشئة عن حروبهم الاهلية . والعشائر كلها مسلَّحة فيندر فيهم ذاك الغرس الطيِّب ، غرس الوطنية المجردة من المصالح الذاتية . اجل انهم مع الامام اليوم ومع اعدائهِ غداً . والسبب الاول في ذلك الجهل ، والسبب الاكبر هو الجهل المسلَّح

قال المأمور دليلي : بعد ان حاصر الامام صنعاء(٢) وسلَّم الترك غنمنا من البنادق

(١) لم تتأثر اليمن لا اثناء الحرب ولا بعدها من غلاء حاجات المعيشة لان ارضهم ، ولا تزرع كلها ؛ تطعمهم وانوالهم تكسيهم فلا يحتاجون غير القطن وبعض الاصباغ من الخارج. هذه اسعار بعض لوازم المعيشة هناك :

لحم الضان	ثمن الرطل ٤ غروش
لحم البقر	ثمن الرطل ١٠ غروش
السمن	ثمن الرطل ٣٥ غرشاً
القمح	ثمن القدح ٦٠ غرشاً
البطاطس	ثمن القدح ٤ غروش

القدح ٤٠ اقة والاقة في اليمن كيلو وثلاثة ارباع والريال النمساوي يساوي عشرة غروش مصرية

(٢) هو حصار صنعاء سنة ١٩٠٤ الذي استمر ستة اشهر فأكل اهل المدينة اثناء الحصار لحم البغال والحمير وكذلك الفيران وكان عدد الاتراك الذين سلموا وفيهم الاهالي لا يقل كما قيل لنا عن ستين الفاً . ولكنهم اعادوا بعد ذلك الكرة على صنعاء فتقهقر الامام وجنوده الى شهاره فتبعهم العدو الى تلك المضايق الهائلة وخسر هناك كل شيء . تلك هي وقعة شهاره المشهورة . لم يكن مع الامام غير ثلاثة الاف مقاتل غلبوا ثلاثين الفاً من الاتراك وقد حاربوهم بالصخور كذلك يدحرجونها عليهم واهل اليمن يحسبون النصر في تلك الوقعة اعجوبة بل كرامة من كرامات الامام

خيرات (كثيراً) فكانت الموزر تباع بريال واحد . وبعد واقعة شهاره من استطاع ان يجر مدفعاً الى بيته أعطي له . فلا عجب اذا كان في العشائر من يناهض الامام ويعصى جيوشهُ المنظّمة

عدنا بعد الطواف في المدينة فكان السر الذي تعاهدنا على كتمانهِ قد سبقنا الى (بير العَزَب) ودخل مفسداً حيث لا يستطيع سواهُ . لذلك لما رغبنا المرة الثانية في النزهة قال السيد محمد دون ان يظهر ما علمهُ من سرّنا : الاولاد في المدينة يجتمعون عليكم ويزعجونكم

سكتنا على علمنا اننا اسرى الى ان يرجع الامام . والاسير لشدة ما يحدّق بالجدران يصبح حاد النظر . وتتنبه فيهِ كذلك الحواس الاخرى . فقد سمعت مرة صوتاً شبيهاً بصوت الالة الكاتبة — تك تك — تك تك تك ، وراحت العين تبحث لتحقق ظن الاذن فاكتشفتْ شريط السلك اي التلغراف وعلمتْ ان المركز فوقنا في الطابق الثاني من البيت . وكان لمنزلنا باب موصد من الخارج بينهُ وبين البوابة الى السوق حوش صغير ، سمعت يوماً جلبة فيهِ ، فاستطلعت من ثقبٍ في الباب الخبر ، فاذا هناك بعض العساكر يتنافرون ، ثم جاء واحد وهو يقول : هم عرب مثلنا . وفتح الباب . فاستأذنتهُ في الخروج الى الحوش فأذن هاشاً وكان هو الدليل الانيس. اخبرني اننا مقيمون في بيت من بيوت الامام العديدة ، وان الحضرة الشريفة غنية جدًّا ، وانها تقية ، ورعة ، عالمة ، عادلة ، فهي تجلس للناس كل يوم تحت شجرة في الحوش او خارج البوابة في الساحة . اما المجلس الرسمي ففي الطابق الثاني من البيت

نحن اذن قريبون جداً من الحضرة الشريفة. او انها تعطفاً — وقال المفسدون تحفظاً — جعلتنا على مقربة من الاذن الامامية والعين العلوية . ومما لا ريب فيهِ ان الزيود يتقون كثيراً ويتكتمون . كأن هذه الحلة ، وهم قريبون من المذاهب الباطنية صلة الانتساب بينهم وبينها . وهم يختلفون عن العرب بأنهم شغفون بالفخفخة والابهة الظاهرة . ولنا في موكب الحضرة الشريفة راموز وبرهان . كنت قد سمعت بالمظلة المشهورة التي تظلل الامام يوم يؤمّ المسجد الجامع ، فتحف بهِ السادة والعلماء ، وتمشي امامهُ ووراءهُ الجنود ، وهم ينشدون « الزامل » تتقدمهم النوبة وثلة من الفرسان ، والمظلة في وسط الموكب كأنها القبة الزرقاء المرصعة بالكواكب وقد مشى تحتها القمر المنير سُبُل الدنيا والدين

وهذه المظلة التي طبّق ذكرها الافاق ومعها شقيقات صغيرات ملقاة في الزاوية في طريقنا الى الديوان . قال رفيقي وقد قبض على اكبرها : هذه لصلاة الجمعة . وفتحها فاذا هي خيمة لا مظلة. قطرها ثلاثة اذرع وهي من الحرير الازرق والابيض المزركش . وعلى اطرافها من الخرج العريض الثمين ما يندر حتى في ملابس السيدات الفخمة

رأيت في تلك الزاوية ايضاً طبول الامام العديدة حجماً وشكلاً ، بعضها مشدود على الفخار وبعضها على النحاس. والى جانبها البيارق والرايات فكان الدليل اللطيف اسرع بيده مني برغبتي . فتح الراية الاولى فاذا هي خضراء مكتوب عليها بالاصفر : وفتحنا لكم فتحاً مبيناً . والثانية صفراء مكتوب عليها بالاخضر : الجنة تحت ظل الرماح . والثالثة بيضاء وعليها بالذهب آية التوحيد والشهادة

سررت بخروجي الى الحوش وبدليلي اكثر من سروري بالطواف حول السور وفي المدينة . ولا غرو ، فقد شاهدت الرايات والطبول ، ولمست بيدي المظلة الشريفة ، واستأنست بالجندي الكريم الذي نفعني بشيء من علومهِ ، ثم دخل معي الى البيت وجلس القرفصاء امامي فزادني علماً بطرايق الامام . «كان قبلك في هذا البيت فتحي بك[١] وكان الامام يزورهُ ليلاً وحدهُ . سافر الاسبوع الماضي . وهو رجل «ناهي» (مليح) اعطاني هذه « الساكوة » واستدان مني عشر ريالات اعادها اليَّ عند سفره عشرين . . . . لا ادري والله ولكني سمعتهم يقولون انهُ من مصر جاء ليصلح السلك » (التلغراف)

وغداً يحدّث عنا ولا شك فيقول اننا جئنا من الجامعة الاميركية لنشتري الكتب الخطية

الفريكة بلبنان امين الريحاني

---

(١) قيل انه من قبل مصطفى كمال . جاء صنعاء عن طريق المخا قبلنا بشهر والتقينا به وهو راجع عن طريق عدن ويظهر ان حضرة الامام او صديقه الوالي محمود نديم (آخر ولاة اليمن وهو لا يزال في صنعاء) كان يفاوض مصطفى كمال ليستعين به على استرجاع الحديدة . وقد علمت انه اي محمود نديم كتب الى قنصل اميركا في عدن بما معناه : بلغ حضرة الامام ان دولة اميركا العظمى تمد مصطفى كمال بالمساعدات الحربية ونحن ومصطفى كمال واحد فهلا مددتمونا بشيء من المساعدة كذلك ؟ فضحك القنصل عندما وصله الكتاب وكان الضحك منه جوابه الوحيد

الـكليتان والصحة

تابع ما قبلهُ

﴿ الزلال ﴾ من اهم امراض الـكليتين واكثرها انتشاراً ويدعى مرض بريط Bright's disease نسبة الى مكتشفهِ الدكتور رتشرد بريط وهو طبيب انكليزي وجد سنة ١٨٢٧ علاقة بين حصول الاستسقاء والزلال واعتلال الـكليتين فكل استسقاء يرافقهُ وجود زلال في البول يدل على اعتلالهما وعليهِ سمي هذا المرض باسمهِ. ويدخل تحتهُ التهاب الـكليتين الحاد والمزمن وتصلبهما وغيرهما من الامراض الـكلوية . والزلال من المواد النتروجينية التي لا غنى للجسم عنها وعليهِ يتوقف نموهُ. في حالة الصحة تفرز الكليتان الماء والاملاح بصورة بول كما ذكرنا ومتى اعتلتا تفرزان هذه المادة الضرورية اي الزلال وتحرمان الجسم احد اركانهِ الغذائية فبدلاً من ان يستفيد منها تخرج مع البول وتذهب سدى فيضعف الجسم ويهزل . فوجود الزلال علامة اعتلال الـكليتين او احداهما اذ تدخل مواد مضرة اليهما فتؤذي خلاياهما وخلايا اوعيتها الدموية فيرشح من تلك الخلايا المعلولة الزلال الداخل اليهما وفي حالة الصحة تحول بينهُ وبين الخروج . واسباب خروج الزلال كثيرة اهمها التعرض للبرد والرطوبة واصابة المرءِ بانواع الحميات كالحمى القرمزية والتيفوئيدية والحصبة والدفثيريا والملاريا وغيرها ثم العقاقير السامة كزيت النفط والحامض الفينيك وما اشبه . ومن اهم مسبباتهِ الافراط في المشروبات الالـكحولية كالعرق والـكونياك والوسكي وما شاكلها . ويحصل الزلال في الحبَل ايضاً من تولد انواع السموم الناشئة عن المواد المندثرة فليحذر الحبالى ولينتبهن الى فحص بولهن كل اسبوع او اسبوعين لان وجود الزلال في بولهن يعرض حياتهن للخطر. ويحدث الزلال من جراء حرق كبير في الجلد وفي بعض الامراض الجلدية المزمنة

ويظهر الزلال في المولود الجديد ثم يختفي بعد ٨ ايام الى ١٠ ايام ويظهر ايضاً عقب اضطراب شديد كالخوف والرعب والغيظ وبعد الاستحمام بالماءِ البارد ومن سوء الهضم وفي الذين يمارسون الالعاب الرياضية وقتاً طويلاً . وقد وجدهُ كولير Collier في بول ١٣٠ لاعباً من ١٥٦ . وقد يظهر في بعض ساعات النهار ثم يختفي فيظهر مثلاً مساءً ويختفي صباحاً ويسمى حينئذٍ الزلال الوقتي ومنهم من يظهر فيهم بعد

التعب الشديد او عند اقل حركة اذ يكون الشخص نائماً فمتى نهض يظهر الزلال في بولهِ. وهذا النوع كثير الحدوث في الاولاد فمنهم من يكونون صحيحي الجسم ومنهم من هم عصبيو المزاج او متولدون من أباء امزجتهم عصبية فيبقى الزلال في بعضهم الى سن البلوغ وفي البعض الآخر طول حياتهم. وفي جميع هذه الاحوال لا تتأثر خلايا الـكليتين تأثراً يذكر بل يكون تأثرها موقتاً لا يلبث ان يزول. واما في النوع المرضي فتكون الخلايا معتلة كما ذكرنا. وتختلف علامات الزلال باختلاف شدتهِ فقد يكون خفيفاً ولا يسبب علامات تذكر واهم علاماتهِ التي تستدعي انتباه المصاب انتفاخ الجفنين او الـكاحلين وكثرة التبويل خاصة في الليل اذ يستيقظ المصاب مراراً لهذه الغاية ويشعر بحرقة في البول ويقلُّ مقدارهُ عن المعتاد ويحدث قبض في الامعاءِ واحياناً قيءٌ وحمَّى وفروة على اللسان ومتى صار مزمناً يسبب استسقاءً عامًّا في كل الجسم فينتفخ البطن وتتأثر سائر الاعضاءِ كالقلب والرئتين والكبد ويتعذب المريض عذاباً مرًّا الى ان يفارق الحياة

ان ظهور الانتفاخ في الجفنين او الوجه اولاً يدل على مرض الـكليتين وظهورهُ في الـكاحلين او الرجلين اولاً يدل على مرض في القلب

ولكشف الزلال في البول طرق متعدّدة اهمها اغلاؤهُ بالطريقة الآتية: ضع قليلاً من البول في انبوبة من زجاج الى نصفها واحمِ القسم الاعلى من البول على مصباح الـكحولي حتى يغلي فيظهر راسب ابيض او خثارة بيضاء فاما ان تكون زلالاً او مواد فصفاتية فاضف اليها نقطاً قليلة من الحامض الخليك المخفف فان كانت املاحاً فصفاتية تذوب حالاً وان كانت زلالاً تزداد الخثارة. ووجود الاملاح الفصفاتية طبيعي في البول ولا خوف منهُ. والطريقة الثانية هي ان تضع نقطاً قليلة من الحامض النتريك (ماء الفضة) في انبوبة من زجاج وتصب البول فيها بتأنٍّ لـكي لا يختلط البول والحامض فيتكون عند اتحادهما حلقة بيضاء تدل دلالة اكيدة على وجود الزلال

ذكرنا ان الانتفاخ الناشيء عن مرض الزلال يظهر اولاً في الوجه والانتفاخ الناشيء عن مرض القلب يظهر اولاً في الرجلين. وفاتنا ان نذكر ان الزلال متى كان شديداً يسبب احياناً التسمم البولي الذي اتينا على اهم علاماتهِ

يعالج الزلال بالراحة التامة وتدفئة الجسم بالملابس الصوفية وعدم التعرض للبرد والرطوبة. واحسن الاطعمة في هـذا المرض اللبن (الحليب) لانهُ مغذٍّ للجسم

ومدرٌ للبول وسريع الهضم وفيهِ كمية صالحة من المواد الزلالية للتعويض عما يفقده الجسم . وفضلاتهُ قليلة جدًّا ولا تؤثر في خلايا الـكليتين . وتفضل المواد النشوية والدهنية على غيرها اذا لم يستطع المصاب شرب اللبن . وليكن الملح في الطعام قليلا ما امكن لان الـكليتين في حالة اعتلالهما لا تفرزان الملح الزائد عن حاجة الجسم بل تبقيانهِ في الانسجة وبقاؤهُ فيها يمنع خروج الماء منها ويزيد الاستسقاء كلما زاد مقدار الملح في الجسم . وبعض الاطباء يجيزون استعمال الاطعمة العادية والملح في الطعام ولـكن الاختبار يؤكد ضررها . وتتخذ لاخراج الماء من الجسم طرق غير طريق الـكليتين كالامعاء والجلد فيعطى المصاب انواع المسهلات كالملح الانكليزي وسلفات الصودا وانواع المدرات للبول كالليموناده وماء الشعير اللذين يجب ان يكثر المريض شربهما . وبعض الادوية كفصفات الصودا والبوتاس تدر البول وتجعلهُ قلوياً بتخفيف حموضتهِ فتمنع تهييج خلايا الـكليتين. وبيكربونات الصودا من احسن الاشياء في هذا المرض.وتعطى انواع المعرقات كمسحوق دوفر وغيره ولـكن بمشورة الطبيب . ويجب اجتناب المشروبات الاكحولية والمهيجة كالشاي والقهوة وانواع البهارات والتوابل في الطعام كذلك يجب اجتناب الرياضة العنيفة والجنوح الى الراحة التامة

***

﴿حصى الـكلية﴾ هي من الامراض الـكثيرة الانتشار وتتولد من تجمع الاملاح البولية في حوض الـكلية او داخلها ويختلف حجمها من حبات صغيرة قدر حبة الخردل تدعى رملاً الى حصى كبيرة كحجم البيضة الصغيرة وتكون اما مفردة او متعددة . ومنذ سنتين اجريت عملية حصى في مستشفيات الجامعة الاميركية فاستخرج ١٧٠ حصاة صغيرة كل واحدة قدر حبة البن وبشكلها وحصاة واحدة كبيرة . وانواع الحصى كثيرة اهمها

(١) حصى الحوامض البولية Uric acid calculus ومنها تتكون الحصى الصغيرة التي تسمى رملاً وتخرج مع البول دون الم او ضرر . وحصى هذا النوع قاسية مستديرة ملساء ولونها احمر وحجمها على الغالب قدر بزر الخشخاش او الخردل او اكبر من ذلك كثيراً

(٢) حصى اكسلات الـكلس oxalate of lime وتشبه ثمر التوت او ثمر العليق (الـكبوش) تمام المشابهة وهي ملساء قاسية جدًّا ولونها اسود غامق وهي

على الغالب مزيج من اكسلات الـكلس والحامض اليوريك . واكثر ما تكون مفردة

(٣) فوصفات الكلس Calcium phosphate وغيرهِ من الاملاح الكلسية خاصة كربونات الصودا وهي بيضاء اللون كالطباشير ملساء وحجمها يتراوح بين حبة الحمص وبيضة الدجاج ومنها انواع اخر مركبة من سستين وكزانتين وغيرها وهي نادرة ولا مجال لذكرها هنا

واكثر الحصى تكون خليطاً من المواد المذكورة آنفاً فالحصى الفصفورية والـكلسية تتكون في البول القلوي وسائر الحصى في البول الحامض. وتتألف الحصاة من نواة فيها حامض يوريك وتنشأ اما من خثارة دم او مادة مخاطية او قوالب كلوية renal casts او بويضات البلهارزيا او مادةغروية او جراثيم مرضية تتجمع حولها طبقات من الحامض اليوريك واكسلات الـكلس او غيرها من المواد .والبول الحامض القليل المواد القلوية والاصباغ البولية يجعل الـكلية معرضة لتكوّن الحصى والعكس بالعكس

واسباب الحصى كثيرة اهمها الافراط في اكل اللحوم والمشروبات الالـكحولية والمياه الحاوية مواد كلسية.وقد يصدق هذا على الحصى الـكلسية ولـكن اكثرالحصى المعروفة مركبة من الحامض اليوريك ولا علاقة للماء بها.وتأثيرهذه العوامل خارجي وقليل جداً ولـكن العامل الحقيقي هو استعداد في الـكلية وذلك اما وراثي او مسبب عن الاكثار من اكل اللحوم وشرب المشروبات الروحية وعدم انتظام الطعام وغيرها من العوامل التي تجعل الكلية مقراً لرسوب الاملاح التي ذكرناها . والـكسل وقلة الحركة وعدم الرياضة المعتدلة تعرض الـكلية لتكوّن الحصى. وتصيب الحصى الشبان والشيب وهي اكثر في الذكور منها في الاناث

قد تكمن الحصاة في الـكلية دون ان تزعج المرء وتمضي عليها السنون الطوال ولا يشعر بها وهذا نادر جداً . وقد تخرج حصى صغيرة وهي التي تسمى رملاً دون الم . وتسبب حصى الـكلية احياناً الماً يسيراً ولـكن آلامها على الغالب مرة لا تطاق خاصة حينما تحاول الخروج من الـكلية الى الحالب فيحدث ما يسمى المغص الـكلوي وينتاب الشخص من حين الى آخر مرة في الاسبوع او مرتين او مرة في الشهر او السنة او السنتين او اطول من ذلك . وكلما تعرض للبرد الشديد والتعب الـكثير والسهر الطويل او كلما اكل طعاماً عسر الهضم او شرب مشروبات مهيجة

تبتدىء النوبة وهي تحدث فجأة فيشعر المريض بألم في جهة الخاصرة التي فيها الحصاة ويمتد نازلاً الى الحالب والمثانة ويلتف على الظهر والبطن فيشتبه الامر على الطبيب ويظن الالم ناشئاً عن دود او انعقاد في الاحشاء وما اشبه. وقد يصعد الالم الى الكتف في الجهة المصابة ويتقيأ المريض كثيراً ويتجشأ ويعرق عرقاً بارداً وتصيبهُ في بعض الاحيان قشعريرة برد وترتفع حرارتهُ قليلاً ويحصل قبض في الامعاء ويبول المصاب مراراً كثيرة ولكن كمية البول تكون قليلة وقد يكون البول احمر لوجود دم فيهِ. واحسن وصف للمغص الكلوي هو وصف الفيلسوف الافرنسي مونتين Montaigne لانهُ اصيب بهِ وظل ينتابهُ سنوات عديدة وهاك وصفهُ:

« انك تعرق من شدة الالم وتصفر وتحمر وترجف وتتقيا حتى يخرج الدم وتحصل لك ارتجافات وتنحدر الدموع من عينيك وتبول بولاً كثيفاً اسود بسبب الدم وينحبس البول من جراء الحصاة التي تكاد تمزقك تمزيقاً » اه وقد تلتهب الكلية بسبب الحصاة فيحصل قيح فيها ويخرج القيح مع البول وفي هذه الحالة يشعر المصاب بقشعريرة برد اشبه بقشعريرة البرداء. وتدوم نوبة المغص الكلوي ساعة او يوماً واحياناً ثلاثة ايام او اكثر ثم تزول وتعاود الكرة متى سنحت لها الفرص

ولاتقاء شرها ومنع تكونها يجب بذل الجهد في حفظ البول قلوياً لان البول الحامض يسهل تكونها فالاكل يخفف حموضة البول والصوم يعمل عكس ذلك والنوم يعمل عمل الصوم اي يزيد حموضة البول فعليهِ يُعطى المعرض للحصى كأس لبن (حليب) عند النوم وكأساً في الصباح يذاب في كل منهما المواد الآتية:

بيكربونات الصودا }
« البوتاس } من كل مادة غرام واحد

كلوريد البوتاس ٣٠ سانتغرام

وليكن اللبن سخناً. وبهذه الواسطة تخف حموضة البول وتكثر قلويتهُ ويجوز استعمال شراب الصودا بجرعة ٣ غرامات الى اربعة مذابة في الماء. واستعمال اللبن والماء معاً افيد لان اللبن يدر البول والماء يخفف حموضتهُ والقلويات تزيد قلويتهُ فيمتنع تكوّن الحصى وتصير الاوقات الفاصلة بين الاطعمة كافية لحصول الهضم لئلا يحصل تحمض في المعدة يزيد حموضة الدم. ويشجع المريض على شرب الماء وماء الشعير والليموناده وغيرها من المدرات البسيطة كالمياه المعدنية على اختلاف انواعها وليجتنب

ما استطاع اكل اللحوم والمواد الزلالية كالبيض اذ يتولد منها الحوامض التي تعرّض الـكلى لتكون الحصى وليأكل انواع الخضر والفواكه. وقد ثبت ان الفقراء اقل تعرضاً للحصى من الاغنياء لانهم لا يكثرون من المآكل الغنية بالمواد النتروجينية كاللحم والبيض وغيرها. وليجتنب المعرّض لحصى الـكليتين قبض الامعاء باخذ المسهلات الخفيفة. والرياضة البدنية المعتدلة من اهم الضروريات للمصابين بالحصى والمعرضين لها وليعتن المريض بنظافة جسمه ليقوم الجلد بوظيفته الطبيعية. واحسن علاج حين حصول النوبة هو حقن المورفين مع الاتروبين. ولهاتين المادتين فائدتان الاولى تسكين الالم والثانية تخفيف تشنج الحالب من جراء وجود الحصاة فيه فيفسح لها المجال للخروج. وليعط المصاب جرعات كبيرة من الليمونادة والـكازوز وبيكربونات الصودا وبعض مقويات القلب كالـكونياك خاصة قبل الحقن بالمورفين. واستعمال مغاطس الماء الحار يفيد جداً وكذلك اللبخ الحارة ولـكن المورفين خير منهما

هذه هي اهم الطرق المستعملة ذكرتها بالاختصار اما الادوية التي تعطى فـكثيرة كفصفات الصودا ٥ غرامات الى ١٥ غراماً كل يوم وكربونات الليثيوم من غرام الى غرامين ومنها ما يستعمل لتفتيت الحصى كالبيروزين Piperozine بجرعة من غرام الى ٣ غرامات يومياً وجلها لا فائدة منها. واحسن طريقة لاستئصال الحصى العملية الجراحية بفتح الـكلية واستخراج الحصى التي فيها وليست من العمليات الخطرة

***

وللـكلية امراض اخرى كانواع الاورام والزهري والتقيح والاستسقاء والخراج والاحتقان وغيرها مما لا مجال لذكره هنا ولا تفيد معرفتها غير الاطباء. ولقد تقدمت ابحاث الـكلية في هـذا العصر تقدماً باهراً بواسطة اشعة رنتجن ومنظر المثانة Cystoscope اذ بواسطته يرى داخل المثانة والحالبين والـكليتين. هذا فضلاً عن المواد الـكيماوية المستعملة لمعرفة قوة افراز الـكليتين مما يطول شرحه

اما البول السكري فلا علاقة له بامراض الكلية وانما يمر فيها فقط ولهذا لم ابحث فيه هنا. ولم اتعرض للبحث في الغدة التي فوق الـكلية وافرازها الادرنالين الذي هو من الاهمية بمكان اذ يحتاج البحث فيهما الى مقال خاص

الدكتور
صيداء شريف عسيران

مالية مصر

من عهد الفراعنة الى الآن

لصاحب السمو الامير عمر طوسون

لما بحثت في الكتب العربية لكتابة مذكرتي عن افرع النيل في العصر العربي انفتح امامي باب آخر للكلام على موضوع الخراج والمساحة المزروعة في مصر في عصورها المختلفة فوطنت النفس على كتابة مذكرة اخرى في هذا الموضوع لشدة ارتباطه بموضوع النيل . غير اني وجدت الخراج مندمجاً في الايرادات في الغالب فحاولت في مذكرتي هذه ان اذكر كل واحد منهما على حدة بقدر الامكان وقسمت الكلام الى ثلاثة اقسام وهي

(١) الايرادات . او ارتفاع البلاد (حسب تعبير الكتب العربية)
(٢) الاتاوة . او ما يرسل الى الدولة الفاتحة
(٣) الخراج والمساحة المفروض عليها

والنقود التي كانت معتبرة في ذلك هي

ا — التالان في بعض العصور التي قبل الاسلام
ب — الدينار في العهد الاسلامي

اما التالان (الوزنة) فكان من الذهب والفضة والبرونز ولكن اتفقت كلمة المؤرخين على ان المراد به هنا ما كان من الفضة وقدروهُ بمبلغ ٥٦٠٠ فرنك ذهب (٢١٦ جنيهاً مصريًّا)

واما الدينار فمن الذهب فقط وهو يساوي ١٥ فرنكاً و٨٠ سنتيا على تقدير صموئيل برنارد في كتاب (وصف مصر) عبارة عن ٦٠٩ مليمات وعلى تقدير الذهبي وعلي مبارك يساوي ٥٩١ مليماً فمتوسط التقديرين ٦٠٠ مليم او ٦٠ قرشاً وسنقدرهُ بذلك

والفروق الشاسعة التي ربما لاحظها القارىء في عبارات المؤرخين عن المبالغ الدالة على الايرادات مبنية على ما ارى على ان بعضهم يذكرها بدون حذف المصروفات منها والبعض الآخر يذكر الباقي فقط بعد حذفها . وهذا هو السبب ايضاً في ان ارقام الايرادات قد لا تختلف في كثير من الاحيان عن ارقام الاتاوة في عباراتهم ،

على ان من اهم الاسباب في اختلاف ايراد مصر انها بلد زراعي مرتبط بالنيل في ثروته وهو مختلف الفيضان . واكثر مؤرخي العرب يستعملون كلمة (خراج) وهم يعنون الايرادات مع ان هذه الكلمة بالمعنى الحقيقي لها تدل على ما يجبى عن الارض المزروعة (اموال الاطيان)

القسم الاول

الايرادات في عصر الفراعنة

لم نعثر في كتب مؤرخي هذا العصر على اي نبذة في هذا الموضوع وقد سد هذا النقص مؤرخو العرب لكن جسامة المبالغ التي ذكروها تنبو بنا مع الاسف عن الركون اليها غير اننا سنذكرها لمجرد الشغف بالمعرفة . وها هي

المؤلف	الحاكم	مقدار الايرادات بالدينار	مقدارها بالجنيه المصري
ابو صالح الارمني	فرعون موسى	٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٥٤ ٠٠٠ ٠٠٠
المقريزي	ندارس بن صا	١٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠
«	كلكن بن خربتا	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠
«	فرعون الاول	٩٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٥٤ ٠٠٠ ٠٠٠
«	الفراعنة	٢٧٠ ٠٠٠ ٠٠٠	١٦٢ ٠٠٠ ٠٠٠
«	فرعون يوسف	٢٤ ٤٠٠ ٠٠٠	١٤ ٦٤٠ ٠٠٠
«	فرعون مصر	٢٤ ٤٠٠ ٠٠٠	١٤ ٦٤٠ ٠٠٠
ابو المحاسن	عزيز مصر	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠
ابن اياس	الريان بن الوليد	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠

عصر البطالسة

عثرنا في هذا العصر على شيء يوثق به ولكنهُ قليل ينحصر في العهدين الآتيين

	تالان	قمح بالاردب	قيمة الجملة بالجنيه
بطليموس فيلادلف سنة ٢٧٤ ق م	١٤٨٠٠	٣٠٠ ٠٠٠	٣ ٢٩٦ ٨٠٠
بطليموس أوليت سنة ٥٢ ق . م	١٢٥٠٠		٢ ٥٠٠ ٠٠٠ (١)

(١) (المقتطف) وقد ذكر ذلك ولكنصن في كتابه تاريخ مصر المطبوع سنة ١٨٣٧ الجزء الاول صفحة ٢٢٥ وجعل المبلغ اربعة ملايين من الجنيهات حاسباً التالان ٣٢٠ جنيهاً

عصر الرومان

عند ما فتح الرومان مصر كان اعظم همهم انماء ثروتها وهذه كانت طريقتهم في كل ما يفتحونهُ من البلاد ولذلك رأينا الامبراطور اغسطس غداة الفتح يعيد حفر الترع التي اهملها البطالسة ولكننا لم نعثر في موضوعنا في عصرهم الاَّ على ما ذكرهُ ماركاروت نقلاً عن فريدلاندر الذي يرى ان ايرادات مصر بلغت في هذا العهد ١٣٤٩١٨٠٠٠ مارك (٥٤٤٥٩٠٥ ج. م)

عصر البيزانطيين

لم نهتد الى شيء في هذا العصر عند غير مؤرخي العرب وهم لم يذكروا غير عهد شخصين فقط هما هرقل وما يسمونهُ المقوقس (والمقوقس عندهم كان حاكم مصر من قبل هرقل)

المؤلف	الحاكم	مقدار الايرادات بالدينار	مقدارها بالجنيه
ابو صالح	هرقل	١٨٠٠٠٠٠٠	١٠٨٠٠٠٠٠
ابن عبد الحكم	المقوقس	٢٠٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠

عصر العرب

فتح عمرو بن العاص مصر سنة ٢٠ ه‍ (سنة ٦٤١ م) في خلافة عمر بن الخطاب وكان عمر تداخلهُ الريبة في القدرة على فتحها ولكن عمراً ألح عليهِ واقنعهُ بقولهِ — هي اكثر البلاد اموالاً واعجزها عن القتال والحرب — وفي السنين الاولى من فتحها كان اكثر الايراد من الجزية التي هي عن الانفس وقد اتت بدخل عظيم بلغ ١٢٠٠٠٠٠٠ دينار (٧٢٠٠٠٠٠ جنيه) بفريضة دينارين على كل رأس فهي عن ستة ملايين شخص فرضت عليهم الجزية. وقد اختلف الخراج في عهد هذا الخليفة على ما يؤخذ من نصوص هؤلاء المؤلفين

المؤلف	الخراج بالجنيه المصري
ابن عبد الحكم	٨١٦٦٦٦
اليعقوبي	٤٢٠٠٠٠
البلاذري	٣٣٠٠٠٠٠

وباضافة احد هذه المبالغ الى الجزية تكون جملة الايرادات في عصره كالآتي

على رواية ابن عبد الحكم		٨٠١٦٦٦٦ ج . م
« «	اليعقوبي	٧٦٢٠٠٠٠ ج . م
« «	البلاذري	١٠٥٠٠٠٠٠ ج . م

وفي خلافة عثمان بن عفان بقي عمرو سنتين اميراً على مصر ثم استبدل به عبد الله ابن ابي سرح فنشط كما هي حال كل عامل جديد وجمع من الجزية فوق ما كان يجمعهُ عمرو ١٤٠٠٠٠٠٠ دينار (٨٤٠٠٠٠٠) ج . م حتى قال عثمان لعمرو يُعيرهُ لقد درت اللقحة يا ابا عبد الله فقال نعم ولكن اضررتم بفصيلها . وها هي الايرادات التي عثرنا عليها في سائر عصر العرب

المؤلف	الحاكم	مقدار الايرادات بالدينار	مقدارها بالجنيه المصري
ياقوت	معاوية	٩٠٠٠٠٠٠	٥٤٠٠٠٠٠
اليعقوبي	«	٥٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠
ابن وصيف شاه	سليمان بن عبد الملك	١٢٠٠٠٠٠٠	٧٢٠٠٠٠٠
اليعقوبي	هرون الرشيد	٤٠٠٠٠٠٠	٢٤٠٠٠٠٠
ابو صالح	احمد بن طولون	٥٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠
الكندي	خمارويه	٤٠٠٠٠٠٠	٢٤٠٠٠٠٠
ابو صالح	كافور الاخشيدي	٣٢٧٠٠٠٠	١٩٦٢٠٠٠
المقريزي	المعز لدين الله	٣٤٠٠٠٠٠ (سنة ٣٥٩هـ)	٢٠٤٠٠٠٠
ابو صالح	« «	٤٠٠٠٠٠٠ (سنة ٣٦٢هـ)	٢٤٠٠٠٠٠
«	العزيز بالله	٣٠٠٠٠٠٠	١٨٠٠٠٠٠
ابن وصيف شاه	الحاكم بامر الله	٣٤٠٠٠٠٠	٢٠٤٠٠٠٠
ابو الحسن المخزومي	المستنصر بالله	٢٨٠٠٠٠٠ (سنة ٤٦٦هـ)	١٦٨٠٠٠٠
« «	« «	٣١٠٠٠٠٠ (سنة ٤٨٣هـ)	١٨٦٠٠٠٠
ابن ميسر	المستعلي بالله	٥٠٠٠٠٠٠	٣٣٠٠٠٠٠
		(بما في ذلك قيمة مليون اردب)	
القاضي الفاضل	صلاح الدين	٥٤٨٠١٥٨	٣٢٨٨٠٩٤
ابن اياس	الظاهر بيبرس	١٢٠٠٠٠٠٠	٧٢٠٠٠٠٠

وبلغت زيادة الايرادات على المصروفات في العصور الآتية

المؤلف	الحاكم	المقدار بالدينار	المقدار بالجنيه
ابن وصيف شاه	خمارويه	١٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠
« « «	الاخشيد محمد	١٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠
ابو صالح	كافور الاخشيدي	٢٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠
المقريزي	المستنصر بالله	١٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠
«	الحافظ لدين الله	١٢٠٠٠٠٠	٧٢٠٠٠٠

عصر العثمانيين

انزل الى هذا العصر مضطراً تاركاً حقبة من الزمن طويلة ومع ذلك فالتاريخ بقي صامتاً في عهد العثمانيين طويلاً ولم ينطق الاّ في اواخره عما نحن بصدده وها هو ما عثرنا عليهِ عن القرن الثامن عشر لاثنين من المؤرخين

استيف	٣١١٩٨١٠٦	فرنك	اي	١٢٠٣٤٦٧	ج.م
چيبون	٢٤٠٠٠٠٠	دينار	«	١٤٤٠٠٠٠	ج.م

عصر الفرنسيين

عندما اغارت الحملة الفرنسية على مصر كانت في احط دركة وقد ازدادت الحالة سوءاً في المدة القصيرة الاجل التي اقاموها وها هو ما عثرنا عليـهِ في عصرهم لهذين المؤلفين

استيف	٣٥٥٠٢٨٥١	فرنك	اي	١٣٦٩٥٣٩	ج.م	عن سنة ١٧٩٩ م
رنييه	٢١٠٠٠٠٠٠	«	«	٨١٠٠٧٥	« «	« ١٨٠٠ م

الاسرة العلوية

وهاك جدولاً يُبين السنة التي بلغت فيها الايرادات اكبر مبلغ في عهد كل حاكم من هذه الاسرة

الاسم	سنة	جنيه مصري
محمد علي	١٨٤٧ م	٣٩٥٠٠٠٠
عباس الاول	١٨٥٣ م	٢١٩٢٠٠٠
سعيد «	١٨٦٢ م	٣٧٠٧٠٠٠
الخديوي اسماعيل	١٨٧٥ م	١٠٥٤٢٤٦٨

الاسم	سنة	جنيه مصري
الخديوي توفيق	١٨٩١ م	١٠ ٥٣٩ ٤٦٠
« عباس الثاني	١٩١٢ م	١٧ ٥١٥ ٧٤٣
السلطان حسين	١٩١٦ م	١٩ ٩٢٧ ٢٧٤
« فؤاد	١٩٢٠ م	٤٦ ٤٤٦ ٩٢٩

القسم الثاني

عن الاتاوة التي اخذتها الدول الفاتحة

حكم الفرس

لم يذكر لنا التاريخ شيئاً قبل حكم الفرس واول من ذكر لنا ذلك من المؤرخين هيرُدوت سنة ٤٥٠ قبل الميلاد ويجب الاقتناع بما ذكرهُ لانهُ زار القطر المصري وهو محكوم بالفرس وهذا ما ذكرهُ

تالان حنيه مصري جنيه مصري

٧٠٠ = ٢٠٠ ١٥١ عن مصر وليبيا و٥٢١ ٥٢ عن الصيد في بحيرة موريس و ١٢٠ ٠٠٠ ميدمن مكيال من القمح اي ٤١٥ ٣١ اردباً اقدرهُ بسعر ٣٥ قرشاً = ١٠ ٩٩٥ جنيه فتكون الجملة ٧١٦ ٢١٤ ج . م بما في ذلك ليبيا وكانت مصر تؤدي وحدها ثلاثة ارباع هذا المبلغ اي ٠٣٧ ١٦١ ج . م وهو مقدار الاتاوة التي كانت الفرس تستولي عليها

حكم الرومان

المؤرخ الوحيد الذي ذكر عن موضوعنا شيئاً مدة حكم الرومان مصر هو يوسفيوس ومنهُ عرفنا ان مصر كانت ترسل الى روما قمحاً يكفيها مدة اربعة اشهر ومقدارهُ عشرون مليون مورى (مكيال) اي ٨٨٠ ٠٠٠ اردب × ٣٥ قرش = ٣٠٨ ٠٠٠ جنيه

ومن مقدار الغلال المذكور يمكن معرفة عدد سكان روما بالتقريب لان متوسط ما يستهلكهُ الشخص في مصر من القمح في الشهر سدس اردب فاذا راعينا المدة والكمية المذكورتين مع ذلك يكون عدد السكان ١ ٣٢٠ ٠٠٠ نسمة

حكم البيزنطيين

لم نعثر في مدة هذا الحكم الاّ على ما ذكرهُ رنييه والآنسة روليارد وقيمة الغلال التي ارسلت من مصر الى القسطنطينية على ما ذكر الاول ٢٨٠٠٠٠ ج . م وعلى ما ذكرتهُ الثانية ٥٦٠٠٠٠ ج . م

حكم العرب

ذكر اليعقوبي ما ارسل الى دمشق من مصر في عهد الخليفة معاوية وقيمتهُ مليون دينار اي ٦٠٠٠٠٠ ج . م وابن خرداذبة ما ارسل الى دمشق ايضاً في عهد هشام ابن عبد الملك وقيمتهُ ٢٧٢٣٨٣٧ ديناراً اي ١٦٣٤٣٠٢ ج . م وذكر ابن المقفع اسقف الاشمونين ما دفع الى بيت المال بدمشق في عهد مروان الثاني بعد اسقاط المصروفات وهو ٢٠٠٠٠٠ دينار (١٢٠٠٠٠ ج . م) وذكر ابو صالح الأرمني ان ما ارسل من جزية مصر الى بغداد في خلافة المهدي هو ١٨٢٥٥٠٠ دينار اي ١٠٩٧٠١٠٠ ج م وقال ابن خرداذبة ان ما ارسل الى بغداد من مصر في عهد الرشيد ٢١٨٠٠٠٠ دينار اي ١٣٠٨٠٠٠ ج . م وابن خلدون ان مصر كانت ترسل الى بيت المال في بغداد في خلافة المأمون ١٩٢٠٠٠٠ دينار اي ١١٥٢٠٠٠ ج . م وذكر قدامة بن جعفر في قائمة المبالغ التي وردت الى بغداد من اقاليم الممالك الاسلامية عن مصر ٢٥٠٠٠٠٠ دينار اي ١٥٠٠٠٠٠ ج . م وذلك في ايام المقتدر بالله

حكم العثمانيين

نستقي معلوماتنا مدة هذا الحكم عن مصدرين فقط وهما كتاب ماليت الذي اقام في مصر اربعين سنة وكان قنصلاً لفرنسا فيها في النصف الثاني من القرن السابع عشر ومذكرة استيف في كتاب (وصف مصر) ومنهما يعلم ان ما ارسل الى الاستانة هو

على ما ذكرهُ ماليت ٢٦٠٠٠٠ ج . م
« « استيف ١٥٨٧٢٥ ج . م (٢)

ستأتي البقية

(٢) (المقتطف) في كتاب اتون W. Eton عن السلطنة العثمانية المطبوع سنة ١٧٩٨ انَّ ميري مصر لتركيا كان ١٣٥٠ كيساً رومياً اي ٦٧٥٠٠ جنيه

الحجر الصغير

سمعَ الليلُ ذو النجوم انيناً ... وهو يغشى المدينةَ البيضاءَ
فانحنى فوقها كمسترق الهمـ ... ـس يطيل السكوت والاِصغاءَ
فرأى أهلها نياماً كأهـل الـ ... ـكهفِ لا جلبةً ولا ضوضاءَ
ورأى السدَّ حولها محكمَ البنيـ ... ـان والماءَ يشبه الصحراءَ
كان ذاك الانين من حجرٍ في الـ ... ـسدِّ يشكو المقادرَ العمياءَ
ايُّ شأنٍ يقول في الكون شأني؟ ... لست شيئاً فيهِ ولست هباءَ
لا رخامٌ انا فأنحتُ تمثا ... لاً ولا صخرة تكون بناءَ
لست أرضاً فارشف الماءَ ... او ماءً فأروي الحدائق الغناءَ
لست درًّا تنافس الغادةُ الحـ ... ـسناءُ فيهِ المليحة الحسناءَ
لا انا دمعةٌ ولا انا عينٌ ... لست خالاً او وجنةً حمراءَ
حجرٌ اغبر انا وحقيرٌ ... لا جمالاً لا حكمةً لا مضاءَ
فلأُغادرْ هذا الوجودَ وأمضي ... بسلامٍ ، اني كرهت البقاءَ
وهوى من مكانهِ ، وهو يشكو ... الارض والشهب والدجى والسماءَ

***

فتح الفجرُ جفنهُ ... فاذا ... الطوفان يغشى «المدنية البيضاءَ»

نيويورك ... ايليا ابو ماضي

لوتي الراحل الباقي (١)

اردتُ ان احتفي بذكرهِ احتفاءً خاصًّا ، انا التي طالما عشتُ في الصفحات الجميلة من كتبهِ وطالما استسلمتُ لسحر بيانهِ . فما اهتديتُ الى خير من أن أحمل كتابهُ عن مصر « موت انس الوجود » فاقرأهُ في مكان خصّهُ، في هذا الكتاب ، بفصل فتّان . فمضيتُ إلى دار الآثار المصرية وجلست طويلاً على مقربة من قاعة الموميات . وطالعتُ فصولهُ بهدوء وتأمُّل ، من النبذة الاولى وموضوعها ابو الهول والاهرام تلك الرموز العظمى التي راعهُ لونها الورديّ في ضوء القمر ، « التي بطلت عبادتها منذ مئات والوف الاعوام وما زال الناس من جميع الاجناس وجميع الازمان يقصدون اليها ويطوفون حواليها مجذوبين بما فيها من ضخامة وأسرار » . حتى اتيتُ على الفصل الاخير من اسوان وهيكل أنس الوجود فقرأت بعدئذ كلامهُ عن قاعة الموميات في دار الآثار ، وهو الفصل الرابع من الكتاب ، وكنت ادّخرتهُ خاتمةً لجلستي هذه مع لوتي الراحل الباقي

ليس أنفهُ — على ما يرى لوتي — من زيارة في النهار لهذا المتحف المصري الذي ينعي عليهِ هندستهُ البنائية ، فضلاً عن عرض أولئك الموتى الاجلّاء لجميع الانظار بهيئة غير جليلة . لذلك اراد ان يزورهُ في الليل وحدهُ ، بل برفقة مدير المتحف في ذلك الحين . وان يتجوّل في هذا المدفن الوسيع يرى ما يرى منهُ على نور المصباح الضئيل . فتخيفهُ مرّةً نظرات العيون المحدجة كأن التماثيل تنفث في روعهِ وحي خاطرةٍ آتية من أعماق الاحقاب . وطوراً ترعبهُ الجفون المسبلة كأنها تأبى رؤيتهُ ، وتنكر عليهِ اقتحام ناديها ساعة تنطلق الاشباح من الشخوص والذخائر لتتبادل فيما بينها ما جنتهُ في سكينة النهار من خلاصة الذات البشرية الكبرى . . .

وكأني بلوتي في هواهُ وطلبهِ الموميات عند انتصاف الليل يقرب كثيراً من بلقيس التي ردّت على سليمان اذ قال لها « مُلكي عند قدميك . بماذا استطيع ان ارضيك ؟ » ردّت بقولها : « اريد ان اخاف ! كيف اتعرّف الى لذة الخوف ؟ »

ذهب لوتي يطلب هناك لذة الخوف ، ولذة التفرد بما لا ينالهُ سواهُ ، ورعشة فنية يستعين بذكرها فيما بعد لتسلية ضجرهِ الطويل الذي طاف بهِ جميع الاقاليم

(١) انظر باب التقريظ والانتقاد في هذا الجزء

وجميع البحار فلم يزدد الا ظهوراً وثباتاً وعدداً

***

كتب لوتي هذا الكتاب سنة ١٩٠٧ واهداهُ الى مصطفى كامل الذي كان مثلهُ « ابناً معنوياً » لمدام جوليت ادم . أخوان بالروح ، ابنان لأمٍّ واحدة ، ولكنهما ككثير من الاخوة مختلفان كل الاختلاف من حيث نظرتهما الى الحياة . كان لمصطفى كامل غاية معينة يجري وراءها ، ويسعى لها ، ويبذل في سبيلها شبابهُ وقوتهُ وذكاءهُ دون مراعاة لبنيتهِ الضعيفة . فهدمتهُ الحياة القوية . على انهُ ترك وراءهُ شرارة الوطنية وحبَّ الراية الحمراء البهجة الخافقة في جوِّ الوادي الاخضر

اما لوتي فقضى حياتهُ الطويلة وغرضهُ الصميم — هو يقول ذلك في كل كتاباتهِ — معالجة سآمتهِ الدائمة . لا شك ان تلك السآمة كانت فطرية في غريزتهِ . ولا شك كذلك انهُ كان يغالي فيها ويفرط في مجاراة « الزيِّ الفكريِّ » الرائج يومئذٍ في اوربا حيث كانت طائفة من الادباءِ والشعراءِ تحسب الضجر والسآمة والملل من ضروب الاناقة النفسية والاجتماعية . وظلت تلك الطائفة على ذلك حتى جاءت الحرب الكبرى فنفضت عن كثير من الرجال هذه الانوثة العليلة . وعنوان غرض لوتي من الحياة تجدهُ ملخَّصاً في مطلع كتابهِ عن « ازياديه » حيث يقول : — « عند ما يتناولني الهواء الرطب كصبٍّ من مثلج الماء ، وترتدي الطبيعة هيئتها المغبرة المسترحمة ، عندئذٍ اهبط الى ذاتي ولا اجد في داخلي غير ذلك الفراغ المقزز وسآمة العيش الواسعة » . « يجب ان نتبَّل على احسن ما نستطيع طعم الحياة التافه »

وعلى ذلك يمضي « متبّلا » طعم ايامهِ ولياليهِ على احسن ما يستطيع . والذين يساعدونهُ على « التتبيل » سيكافئهم (?) بان يجعلهم موضوع كتاب جديد يمرّن فيهِ مقدرتهُ الشعرية العظيمة وفنهُ الساحر في الوصف والتحليل . ويشرح على صفحاتهِ فلسفة سآمتهِ — فلسفة القنوط الانيق والموت والفناء . ذلك باسلوب هو من ابلغ واعذب واروع ما عرفتهُ لغة الفرنسيس من اساليب البيان

والنتيجة المنطقية لهذا المزاج العليل وهذه « العقلية » العصبية ، هي كره المدنية الحاضرة ونبذ كل مستحدث ومبتكر . لوتي يعيش في الماضي ، في التذكار ، في التلفت فلئن كان سميراً شيقاً في ساعات معيّنة من العمر ، فهو اسوأ استاذ لمن يريد ان يحيا ، واضرّ مرشد لمن يحفل بالحاضر وينشد المستقبل في انوار الرجاء وحرارة الايمان هاك ما يقول في فصل « موت القاهرة » : — « بين فتيان المصريين مسلمين

واقباطاً المتخرجين في المدارس كم من ذي فكر ممتاز وذكاء وقّاد ! واذ ألقي على هذه الارض المضمّخة بذكرى المجد القديم نظرة الغريب الواصل البارحة ، اراني مدفوعاً الى أن أصيح في وجوههم بصراحة خشنة ولكن بعطف اكيد فاقول : —
« قاوموا قبل فوات الوقت ! قاوموا ليس بحدة ولا بشراسة ولكن بازدراء وامتهان صنوف التجارة الدنيا ، هذه الاغارة المفسدة التي تفيض عليكم بعد ان ينقضي رواجها عندنا فننبذها ! حاولوا الاحتفاظ ليس بتقاليدكم ولغتكم العربية الحرّيّة بالاعجاب فحسب ، بل احتفظوا بجمال مدنيتكم وبسرّها وبترفما كنكم المكرر المصون. انكم لمسؤولون عن كرامتكم القومية . لقد كنتم شرقيين (واني ألفظ باحترام هذه الكلمة التي تتضمن ماضياً ذا حضارة مبكّرة وعظمة جليلة) ولكن حذار ! فلن تمضي اعوام حتى يصنعوا منكم سماسرة شرقيين وهمكم الوحيد ارتفاع سعر الاراضي وغلاء القطن »

حبذا دعوة لوتي الى الاحتفاظ بجميل الموروث وكرامة اللغة . ولكن كيف يهملون تحسين اراضيهم وسعر اقطانهم والاقتصادُ أساس الاستقلال القومي في هذا العصر وفي كل عصر ؟ وهل تُستعبَد الشعوب ان لم يكن في ماليتها عجزٌ ؟ ثم ان نحن لم نستفد بمنافع مدنية الغرب فعلى اي مدنية نتكل ؟ وبأي المنافع نأخذ ؟ لقد كانت المدنية العربية نبيلة عظيمة وصلت بين حضارة الماضي والحاضر فشغلت تسعة قرون بطولها ، بينما حضارة اليونان والرومان معاً لم تشغل زمناً اطول . ولكن هل هي تكفينا اليوم إن نحن اعرضنا عن جميع الاساليب الجديدة التي اهتدت اليها عبقرية الانسان فحققها حذقهُ في حياتهِ اليومية ؟ ألسنا نسدّ أمامنا آفاقاً واسعة بالتعامي عما في مدنية الغرب من جمال وجلال ؟ ثم أليس هذا الانقطاع لذكرى الماضي كفيلاً في ان يستعبدنا الذين يتمتعون بكل ممكنات الحياة وكلّ مبتكرات الاكتشاف والاختراع

***

وقد ارتأى بعض كتابنا الافاضل تعريب كتاب « موت انس الوجود » وكتب لوتي الاخرى عن الشرق الادنى . وهو رأي وجيهٌ صائب لو قصر على الاعتراف بأدب لوتي الرائع والاقرار بالجميل نحو تلك النفس الكبيرة التي انالت الشرق وابناء الشرق قسطاً وافراً من عطفها ومحبتها . بل من شغفها واعجابها . فكانت مرآة سحرية نبصر فيها نفوسنا فنبتسم بافتتان وشكر . على ان الامر أبعد من ذلك . وفي نقل كتاب او كتب لوتي خطر على شبيبتنا متعدد الوجوه . فلوتي واحد من كتّاب الغرب يقرأهُ دون سواهُ القارىء العربي فيحسب رأيهُ في الحياة وسير العمران

الرأي الاعلى . وذاك خطأ . ولوتي ضجر ملول يضرب ببراعة فائقة على وتر شديد الاحساس من اوتار النفس الانسانية ، وتر السآمة واليأس وبطلان العمل والجهاد ، والشك في كل عاطفة وكل ايمان وكل اخلاص . ويسوّغ لنفسهِ اي شيء ليتسلى ويلهو . ونحن في حاجة الى اهمال هذا الوتر المفني القوة . نحن في حاجة الى إهمالهِ وتحريك أوتار النشاط والتجدُّد والامل وحب الحياة لانها الحياة . ومن عيوب لوتي الكبرى نظرتهُ الى المرأة فهي نظرة غير نبيلة . المرأة عندهُ اداة لهو وسرور ، ونحن نريد لرجالنا الشرقيين من هذه الجهة نزعة أعلى واشرف . نريد ان يشمل الرجل عندنا المرأة بعطفهِ ، ويرفعها الى افقهِ ليرتفع بها . ان يستوحيها ويوحي اليها فيتعاونان على حياة يعلمان أن اللهو والسلوى بعضها لا كلُّها . وعندي ان الرجل مهما سمت عبقريتهُ ووفر علمهُ فهو ناقص ابتر ان لم ينظر الى المرأة النظرة النبيلة التي تعيّن لها في الاسرة والمجتمع مكانة كريمة

ولوتي ندّاب كثير النواح والشكوى والتذمر فيؤذي من لا المام لهُ بآداب الغربيين ، او من كان قليل الالمام بها . كما كان قبلهُ شديد الاذى روسّو ناصب المناحات الكبرى ببلاغتهِ العميقة الملهبة وشكواهُ الحزينة المؤثرة . ولوتي فوق كل شيء لا مثل أعلى لهُ ولا غاية سامية في الحياة . ونحن اليوم اطفال في الحياة الفكرية لا يمكننا ان نهضم كل غذاء لان قوى التمييز والملاحظة والاختيار لم تكتمل عندنا . وشبيبتنا اليوم تحتاج الى ان تقودها غاية عظيمة والى ان يستحثّها امل عظيم — او على الاقل وهمٌ عظيم . ومرحباً بالوهم اذا هو دفع الى العمل ، وحرّض على النشاط ، وأوحى حبّ الحياة وتقدير ممكناتها

اقول ان شبيبتنا لا تحتاج الى كتب لوتي بل الى كتب اساتذة اقوياء يكيّفونها ويستحثونها على الرجاء ويبثّون في نفسها اليقين . فترجمة كتب لوتي « صديق الشرق » خطر لمن لا يعرف ان يتسلّى بسحر لوتي تسلية ويعجب ببيانهِ دون ان يحسب قولهُ درساً وامثولة

وبعد — وقد قلت ما اعتقد في هذا الباب — فان نفسي لترحل مجتازة البحر والبر لتصل الى ضريح لوتي . فتجثو هناك مصلّية ، وتضع عند زواياه طاقة الاسف والتحنان والشكران للصديق الذي احبّ من بلادنا كل شيء وكل احدٍ . الصديق الذي لم تكن تملأ هاوية نفسهِ غير عطور الشرق ، ومعاني الشرق ، وتلك الاصداء المرفرفة الهابطة من اعالي المآذن مرددة « لا إله الا الله ! »

(ميّ)

الحال بعد الحرب

كان المظنون انهُ حالما تضع الحرب اوزارها تنتعش الامم وتعود المياه الى مجاريها ولكن مضت سنة وسنتان وثلاث واربع واحوال الدول الاوربية التي خاضت غمار الحرب تزيد سوءًا سنة بعد سنة. ولكن يظهر من المقابلة بين حال اوربا الحاضرة وحالها بعد حروب نبوليون ان ما يرى الآن من الضيق والقلق حدث مثلهُ تماماً بعد حروب نبوليون وقد ابان ذلك الدكتور ارثر شدول في جزء يناير من مجلة القرن التاسع عشر مقتصراً على ما حدث وما هو حادث في البلاد الانكليزية قال ما خلاصتهُ

حدثت المعركة الاخيرة معركة وطرلو سنة ١٨١٤ ففي سنة ١٨١٥ بلغت نفقات الحكومة الانكليزية ١٢٠ مليون جنيه واما دخلها فلم يزد على ٤٦ مليوناً وبلغ دينها ٨٦٠ مليون جنيه تخص كل نفس من سكانها حينئذٍ ٤٣ جنيهاً . وبلغ من ضيق الفلاحين انهُ تعذَّر على كثيرين منهم حرث ارضهم . وجال العمال من غير عمل فكثرت الاعتصابات والخصومات

وسنة ١٨١٦ بارت التجارة. وساءت حال الزراعة وثار العاطلون وهم ينادون الخبز او الدم. واضطرت الحكومة ان تقوم بمعيشة كثيرين ولم تستطع تسكين الغوغاء الاَّ بالسلاح . وهبطت الاجور وغلا الخبز غلوًّا فاحشاً واشتد انتقاد الحكومة لكثرة ما عندها من الجيوش البرية والبحرية

وسنة ١٨١٧ بقيت حلقات الضيق مستحكمة واضطرت الحكومة ان توزع الطعام على ثلث سكان برمنجهام. وكثرت المهاجرة وخيف من الثورة فنودي بالاحكام العرفية ولكن ظهر شيء من التحسُّن في التجارة في اواخر السنة سنة ١٨١٨ فانتعشت الصناعة والتجارة بعض الانتعاش وزاد الطلب على المصنوعات القطنية لكن اضرب الغزالون عن العمل وزاد البحث في مسألة النقود والقطع

وسنة ١٨١٩ بقيت الآمال منتعشة الى الربيع ثم تولاَّها اليأس بغتة فهبطت قيمة الواردات والصادرات وتكرر الاضراب والثورات وساد القنوط

وسنة ١٨٢٠ عادت البلاد الى ظلمة مدلهمة وشمل الضيق وطلب تجار لندن ان تكون التجارة حرة . وزادت حال الفلاحين سوءًا

وسنة ١٨٢١ استمرَّ ضيق الفلاحين . وافلس كثيرون من التجار وشكا الناس

من كثرة اصدار نقود الورق وثقل الضرائب وطلبوا تخفيض الضرائب والعدول عن التوسع في النفقات واشاروا بوضع ضرائب خصوصية على رؤوس الاموال وان تجعل التجارة حرة وترفع يد الحكومة عن التعرُّض لها . وعاد التعامل بالذهب

وسنة ١٨٢٢ طلبت كل طبقات الامة تخفيض نفقات الحكومة . وراجت التجارة وحدثت مشاغب في ارلندا بسبب ما يسمَّى بمجاعة البطاطس

وسنة ١٨٢٣ استمرَّ القلق وغلت الحبوب ثم صلحت الحال في اواخر السنة

وسنة ١٨٢٤ زاد صلاح الزراعة وعمَّ الصلاح سائر المرافق

اي استمرَّ الضيق والاضطراب عشر سنوات بعد معركة وطرلو وجرى حينئذٍ ما هو جارٍ الآن بل اشد منهُ فان الحكومة اضطرت سنة ١٨١٨ ان تنفق من اربعة ملايين جنيه الى ثمانية ملايين على العمال العاطلين مع ان عدد السكان كلهم كان حينئذ اقل من اثني عشر مليوناً . وبلغ عدد المساكين والعمال العاطلين سنة ١٨٢٢ اكثر من عشر السكان وسبب ذلك في الاكثر غلاء القمح فان ثمن الكورتر (نحو اردب ونصف) بلغ ٧٦ شلناً سنة ١٨١٦ وارتفع الى ١١١ شلناً سنة ١٨١٧ ثم هبط رويداً رويداً الى ان وصل الى ٧١ شلناً سنة ١٨٢١ وزاد هبوطهُ بغتةً فبلغ ٤٨ شلناً سنة ١٨٢٢ . وكانت اجور العمال قليلة جدًّا فاجرة النجار في الاسبوع كانت ٢٥ شلناً والبنّاء ٢٢ شلناً والخياط ١٨ شلناً والاسكاف ١٦ شلناً والحائك ٩ شلنات ونصف شلن هذا في منشستر وغلاسكو اما في برمنجهام فبلغت اجرة الحداد ١٠ شلنات الى ١٨ شلناً في الاسبوع وكانت قبلاً من ١٨ شلناً الى ٤٢ شلناً واجرة صانع السلاح سبعة شلنات ونصف شلن في الاسبوع . وبلغت اجرة الصانع عموماً شلناً واحداً في اليوم وهبطت في بعض الاماكن الى نصف شلن . وكان الحائك يعمل سبع عشرة ساعة في اليوم واجرتهُ في الاسبوع خمس شلنات الى سبع

ويقال اجمالاً ان الضيق كان بعد وطرلو اشد جدًّا ممَّا كان بعد الحرب الاخيرة وكانت وطأتهُ تخف احياناً وتنتعش الصناعة والتجارة ولكن انتعاشها كان يكون قصير المدة . وكان الباحثون في اسباب الضيق وطرق علاجهِ يشيرون بما يشير بهِ الباحثون الآن وزعم اكثرهم ان السبب الاكبر لذلك الضيق كثرة الانفاق على الجيش وعلى دوائر الحكومة . فاضطرت الحكومة ان تنقص نفقاتها من ١٢٠ مليوناً سنة ١٨١٥ الى ٧٠ مليوناً سنة ١٨١٦ ثم زادت الانقاص سنة بعد سنة . ولكن لم تصلح الحال الاَّ رويداً رويداً جارية في ذلك مجرًى طبيعيًّا وهذا ما ينتظر حدوثهُ الآن

البحث العلمي

واكتشاف الهفنيوم

ذكرنا في مقتطف ابريل ١٩٢٣ صفحة ٤٠٩ خبر اكتشاف عنصر جديد أُطلق عليهِ اسم هفنيوم وقد سمي كذلك نسبة الى كوبنهاغن عاصمة بلاد الدنمارك لانهُ اكتشف فيها واسمها باللاتينية هفنيا . وقد اطلعنا الان على مقالة في السينتفك اميركان تصف كيف اكتشف فاقتطفنا منها ما يلي : —

جاء اكتشاف هذا العنصر نتيجة للتقدم الحديث في معرفة بناءِ المادة المبني على اكتشاف اشعة اكس وابحاث ماير ومندليف ورذرفرد وبوهر وموزلي في الناموس الدوري وبناءِ المادة الالكتروني واستنباط الدكتور فون لو وسيلةً يستطاع بها الحصول على طيف للاشعة القصيرة التي لا ترى

في سنة ١٨٦٩ اعلن الاستاذان مندليف ولوثر ماير ان العناصر مرتبة حسب اوزانها الجوهرية وان كلّ عنصر يشابهُ العنصر الثامن الذي يجيء بعدهُ او قبلهُ حسب الترتيب المذكور . ثم استدلَّ من ابحاث اخرى ان صفات العناصر تابعة لهذا الناموس الدوري . على ان العناصر التي كانت معروفة حينئذٍ لم تتكون منها سلسلة تامة الحلقات بل بقي في بعض الاماكن فراغ لم يستطَع تعليلهُ حينئذٍ . وحينما كشفت عناصر الغاليوم والسكانديوم والجرمانيوم وعرفت اوزانها الجوهرية وضعت في مكانها حسب ما يقضي بهِ الناموس الدوري فجاءت صفاتها مطابقة لما قيل بهِ قبل اكتشافها فكان ذلك مؤيداً لصحة الناموس الدوري

ثم اكتشفت اشعة اكس فاتسع المجال للبحث في بناءِ المادة والجوهر الفرد . وسنة ١٩١٢ اكتشف الدكتور فون لو من اساتذة جامعة زوريخ ان اشعة اكس الخفية يمكن تكسيرها بواسطة بلورة مخططة فيتولد من ذلك طيف يمكن تصويرهُ فوتوغرافياً . واثبت موزلي بعد سنتين انهُ اذا زاد الوزن الجوهري لعنصر ما قصرت امواج الاشعة الخاصة بطيفهِ وانهُ اذا رتبت العناصر حسب طول امواج اشعتها صار في الامكان تعيين العدد الخاص لكل عنصر منها لان هذا العدد يكون كالجذر المالي من طول الامواج بالقلب واطلق على هذه الاعداد اسم الاعداد الجوهرية

بعد ذلك دُرست ماهية هذه الاعداد وعرفت علاقتها بالبناء الكهربائي فاخذ بوهر العالم الدنماركي يتوسع في مذهب رذرفرد الالكتروني في بناء المادة فقال برأي خلاصتهُ ان عدد الالكترونات التي تدور حول نواة الجوهر الفرد يساوي عددهُ الجوهري الذي عيّنهُ موزلي. فعدد الهدروجين الجوهري واحد ولذلك ففي جوهرهِ الفرد الكترون واحد يدور حول نواتهِ. وعدد الاورانيوم الجوهري ٩٢ ففي جوهرهِ الفرد ٩٢ الكتروناً تدور حول نواتهِ

ولما ترتبت العناصر حسب الاعداد الجوهرية ظهر فراغ بعد العدد ٧١ الذي يقابل عنصر اللوتيشيوم وهو من المعادن الترابية النادرة. ولم يعلم هل العنصر الذي يقابل العدد ٧٢ حيث وقع الفراغ هو من عناصر الرتبة الثالثة او من عناصر الرتبة الرابعة. على انهُ جرياً على مذهب بوهر وجب ان يكون العنصر المفقود من عناصر الرتبة الرابعة فاخذ الدكتور كوستر احد علماء الدنمارك والدكتور جون فون هفسي من علماء المجر يبحثان عنهُ في كوبنهاغن فاستنتجا ان العنصر المفقود يجب ان يماثل عنصر الزركونيوم وهو من عناصر الرتبة الرابعة

فجعلا يبحثان في طيوف مركبات الزركونيوم فوجدا فيها جميعها عدا الخطوط الخاصة بالزركونيوم خطوط عنصر غير معروف يقابل العدد الجوهري ٧٢ ثم تمكنا من استفراد هذا العنصر واطلقا عليهِ اسم الهفنيوم كما سبق وهو من العناصر الكثيرة الوجود فيؤلف نحو جزء من مائة الف جزء من قشرة الارض

واكتشاف هذا العنصر على هذا الاسلوب دليل على ما وصلت اليهِ الابحاث الطبيعية والكيماوية من الدقة في الاستقراء والاستنتاج حتى صار في الامكان التنبوء بكثير من الحقائق العلمية قبل اكتشافها

نقول ان اكتشاف عنصر من العناصر التي تأخر اكتشافها الى الآن قد لا يكون منهُ نفع يناله الانسان وقد يكون منهُ نفع كبير كما في اكتشاف الهليوم الذي يستعمل الآن لملء البلون بدل الهدروجين لانهُ لا يحترق مثلهُ وفي اكتشاف الراديوم الذي يستعمل في علاج النوامي السرطانية ولكن الفائدة الكبرى في الاسلوب العلمي الذي يفضي الى اكتشاف جديد كما اكتشف الهفنيوم وغيرهُ من العناصر التي ثبت بالناموس الدوري انها موجودة قبل ان رآها احد. فان في هذا الاكتشاف دليلاً قاطعاً على انتظام الكون وصحة المبادىء العلمية

النقود في الجاهلية وصدر الاسلام

لم يكن للعرب في جاهليتهم نقود خاصة يتعاملون بها في بيعهم وشرائهم بل كانوا يتداولون نقود الممالك القريبة منهم ويسيرون عليها في علاقاتهم التجارية فكان المجاورون منهم لبلاد الشام مثلاً يتعاملون بالدنانير الرومانية ويسمونها رومية وكان النازلون منهم باطراف العراق يتداولون نقود الدولة الفارسية ويسمونها الدراهم الكسروية واما متديرو الاراضي القريبة من حدود اليمن فكانت النقود الحميرية اساس بيعهم وشرائهم واخذهم وعطائهم . ولا نرى بدًّا من التنويه هنا بان الدراهم الكسروية والنقود الرومانية كانت اكثر شيوعاً وتداولاً في جزيرة العرب من سواها بسبب كثرة الاتصال وتبادل العلاقات التجارية

وقد ظل الامر على هذا المنوال في السنين الاولى لانتشار الدعوة الاسلامية فقد مضى صاحبها الحر بهِ من دون ان يحدث حدثاً في نظامها المعروف بالجاهلية ويمكننا الاستدلال من حديث شريف يروى عن ابي هريرة على حالة المقاييس والنقود التي كان يتداولها سكان الاراضي المجاورة للحجاز اذ اشار فيهِ الى درهم العراق وقفيزه ومد الشام ودنانيرها واردب مصر وديناره فدل بذلك على ان المسلمين لم يضعوا في اوائل حكمهم نظاماً خاصًّا للنقد. وتوفي الخليفة الاول ابو بكر الصديق دون ان يحدث تغييراً في نظامها القديم وكل ما فعلهُ هو انهُ كان يعول في قبض وصرف اموال بيت المسلمين على مقياس خاص اختارهُ للعمل

وادرك الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بعد فتح العراق والقضاء على دولة الساسانيين العناء الذي يلاقيهِ المسلمون بسبب الدراهم الفارسية التي كانت على ثلاثة انواع (ذات ١٠ قراريط و١٢ قيراطاً و٢٠ قيراطاً) وذلك لان اختلاف اوزانها ادى الى عدم الانتظام المطلوب في استيفاءِ اموال الزكاة فرأى ان يضرب هذه الدراهم الثلاثة بعضها ببعض ويمزجها ثم يخرج للناس درهماً زنته ١٤ قيراطاً فكان هذا الدرهم العمري أول نقد ضرب في الاسلام . ويطلق المؤرخون عليهِ اسم « الدينار العزيز » وكانوا يعتبرون كل عشرة دراهم من هذه بسبعة مثاقيل ويسمونها وزن السبعة (اي سبعة المثاقيل)

ولم يدخل الفاروق تعديلا كبيراً على الدرهم الجديد بل ابقى شكلهُ ونقشهُ وخطهُ

البهلوي كما كان واحتفظ برسم الهلال والكوكب الذي كان الفرس القدماء يحسبونهُ من علامات السعد ويتفاءلون بهِ. واكتفى بان نقش على وجهه سنة ضربهِ بالتاريخ الهجري وكتب على دائرتهِ « بسم الله » او « بسم الله ربي » او « الحمد لله » او « بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله » بالحرف الكوفي

واقتفى اثره الخليفة عثمان بن عفان وسار على طريقتهِ فظلت الدراهم تسك طبقاً للشكل الذي اختير لها. وقلدهما الامام علي ابن ابي طالب ايضاً. فظل الحال — في الدراهم — على هذا المنوال سحابة عصر الخلفاء الراشدين

ونشأت الدولة الاموية سنة ٤١ في الشام فامر معاوية بان يستمر في ضرب الدراهم على طريقة الخلفاء فسك منها مقداراً في سنتي ٤٣ و٤٧. وفي سنة ٥١ هـ استقبل الدرهم عهداً جديداً وذلك ان ولاة المشرق وامراءهُ كتبوا الى الخليفة يستأذنونهُ في حذف النقوش الكسروية المنقوشة على الدراهم وان يضعوا في مكانها اسماء امراء المسلمين فاذن لهم في ذلك فكتبوا اسماءهم ولكن بالخط البهلوي ثم ابدل بالكوفي

ولما ولي الامر الخليفة الاموي الخامس (عبد الملك بن مروان) امر بان يكتب اسمهُ على الدراهم فكتبوا عليها لاول مرة بالخط البهلوي « عبد الملك امير المؤمنين » واحتفظوا بالكلمات الاخرى التي كانوا ينقشونها على كنار الدرهم وهي « بسم الله ربي »

وبين المؤرخين الاسلاميين خلاف في وصف الدراهم التي سكها الحجاج في زمن ولايتهِ على العراق وتناقض ظاهر في رواياتهم عنها فقد زعم بعضهم انهُ امر بان يكتب عليها « احمد الله الصمد » او « بسم الله » وان يضاف عليها اسمهُ وان العراقيين كانوا يسمون هذه الدراهم بالبغلية ولم يقم حتى الآن دليل علمي يؤيد هذه الرواية التي لا يجزم ثقات علماء الآثار الاسلامية من الاوربيين بصحتها

ويقول ابن خلدون في تاريخهِ والمقريزي في خططهِ ان عبدالله ابن الزبير اول من ضرب النقود المستديرة في الاسلام وذلك انهُ عند ما استقل بمكة استبدل الدراهم الفارسية بنقود مستديرة ضربها في عاصمتهِ وكتب على احد وجهيها « محمد رسول الله » وكتب على الوجه الثاني « امر الله بالوفاء والعدل » ويقال انهُ لما ولى اخاهُ مصعباً العراق منحهُ حق ضرب النقود فاخرج نقوداً كتب على الوجهِ الاول منها كلمة « الله »

وعلى الثاني « بركة » ولم يرد في اقوال العلماء المتأخرين ما يؤيد هـذه الرواية التي يفهم منها ان ابن الزبير سك نقوداً ذات طراز جديد . غير ان احد علماء الآثار الفرنسويين عثر على درهم كتب عليهِ بالقلم البهلوي « عبد الله امير المؤمنين » وكتب على كنارهِ بالكوفي « بسم الله ربي » وهو مضروب في سنة ٦٢ وكذلك عثر المسيو استيكل والهر هرتمان على نقود من هذا النوع ضربت في العراق سنة ٦٠ و ٦١ هـ .
واما دراهم مصعب بن الزبير فقد عثر الاستاذ تيزن هاوزن على درهم منها ضرب في سنة ٧١ كتب عليهِ كلمة « بسم الله » لا كلمة « الله . بركة » كما يقول المؤرخون القدماء وشكله كبقية النقود الفارسية الاخرى التي كانت معروفة في ذلك الزمن

***

هـذا مجمل ما يقال عن الدراهم الكسروية ولم يكن العرب في صدر دولتهم يعرفون من النقود الذهبية سوى الدينار الروماني الذي كانوا يسمونهُ « هرقلية » . ولما فتح المسلمون سورية في زمن الخليفة الثاني تركوا الدنانير كما هي وابقوا التعامل بها على حالهِ واكتفوا باضافة كلمة عربية على احد وجهيها للدلالة على سيادتهم وظلوا يكتبونها حتى السنة السبعين للهجرة ولم يعثر رجال العلم مع شدة بحثهم وعنايتهم الاَّ على عدد لا يكاد يذكر من هذه الدنانير « المشتركة » التي صارت في حكم النادر . وقد علل ذلك المسيو لافوى في كتابهِ « تقويم الدراهم الاسلامية . الخلفاء الشرقيون »(١) بانهُ ربما كان عبد الملك امر باذابة الموجود منها وسكهِ طبقاً للطريقة الجديدة التي اختارها حينما امر بتحويل الدنانير الرومانية الى عربية سنة ٧٧ هـ

وهنالك ايضاً النقود النحاسية التي كان العرب يسمونها « فلساً » وهي من النقود الرومانية ايضاً . وقد سكها المسلمون ايضاً بالاشتراك بعد فتح الشام . وفي دور الآثار عدد كبير من هذه النقود بعكس الدنانير الذهبية التي لا يوجد منها ما يتجاوز اصابع اليد الواحدة عدًّا والمعروف منها ثلاثة حتى الآن اثنان في اوربا : احدهما في المتحف الفرنسوي وآخر في مجموعة الكولونل كوتري والثالث في متحف الاستانة وهو من طراز نقود هرقليوس وهرقليوس قسطنطين وهرقله اوناس المشتركة نقشت على وجهه صورة الامبراطرة الثلاثة قائمين وفي يد كل منهم اليمنى وردة .

(١) Catalogue des monnaies musulmanes, Khalifes Orientaux

ونقش في وسط وجهه الثاني عامود قائم على قاعدة ذات اربعة اركان والى يمينه حرف I والى يسارهِ حرف B وكتب في وسط دائرتهِ « بسم الله لا اله الأ الله وحدهُ محمد رسول الله » ويبلغ وزنهُ ٦ قراريط وقطرهُ ١٩ مليمتراً . وقد علل المستر ستانلي لان بول وجود حرفي I و B بانهُ لمعرفة التاريخ اذ B تدل على اثنين و I على واحد وبذلك يكون الدينار ضرب في سنة ٢١ هـ . ومما يلفت النظر انهُ لم يذكر مكان ضربهِ

ويقسم بعض الباحثين نقود الدولة البيزنطية على عهد الخلفاء الاوائل الى ثلاثة اقسام فالاول ما كان خاصًّا بالروم انفسهم وقد نقشت عليهِ صور امبراطرتهم وهذا لا علاقة لهُ ببحثنا الحاضر وهو على انواع مختلفة . والثاني ذو طراز خاص بهِ مع احتفاظهِ بشكل النقود الاولى ورسومها والثالث ما ضرب باسم عبد الملك مع احتفاظهِ برسومهِ الاولى

ولعل اول درهم مشترك هو الدرهم الذي ضرب في دمشق سنة ١٧ هـ وقد نقشت عليهِ صورة الامبراطور هرقليوس قائماً وكتب في وسط الوجه الثاني حرف M وعلى جانبيهِ تاريخ الضرب وهو anno - XVII ولم يعثر الباحثون على كلمات عربية في هذه النقود . وهنالك فلس من النقود المشتركة ضرب في حمص سنة ٤٨ وقد رسمت على وجههِ صورة الامبراطور وهو واضع يدهُ اليمنى على صدرهِ وقابض على وردة بشكل صليب والى يمينهِ كلمة حمص وكتب على وجهه الثاني حرف M والى يمينهِ حروف Emi بشكل عامودي والى يسارهِ حرف C وتحتهُ كلمة طيب بالعربية ويبلغ قطرهُ ١٧ مليمتراً

وعثروا من هذه النقود ايضاً على قطع اخرى سكت في بعلبك كتب عليها اسم مكان ضربها وعليها صور هرقليوس وهرقليوس قسطنطين . وكذلك كتب على النقود النحاسية التي ضربت في عهد قسطنطين كلمة دمشق

وفي خزانة الاستانة من النقود الاسلامية المشتركة درهم من عهد الامام عمر كتب عليهِ بالقلم البهلوي انهُ ضرب في هراة سنة عشرين وفي وسط وجههِ صورة كسرى الثاني وتحتهُ رسم هلال فيهِ نجم وقد كتب على يسارهِ كلمتا ام افزود بالقلم البهلوي وكلمة هوسروى (اي كسرى) بالقلم البهلوي ايضاً .وعلى دائرةُ بسم الله بالخط الكوفي وعلى ظهرهِ صورة انسانين متكتفين بينهما مذبح وعلى دائرهِ ثلاثة اهلة

ودرهم ضرب سنة ٢٨ في خلافة عثمان وقد كتب على دائرهِ بالخط الكوفي بسم . . . وعلى ظهرهِ كلمة هرا (ة) بالخط البهلوي وكلمة هشت ويست اي ٢٨

ودرهم ضرب بالبصرة وكتبت كلمة بصرة بالبهلوي بچرا والتاريخ نو ويست اي ٢٩ وكتب على دائرهِ بالكوفي بسم الله ربي

ودرهم ضرب في البيضاء (بيش) في خلافة الامام علي سنة هفت سيه اي ٣٧ وقد كتب عليهِ بالكوفي بسم الله ربي

ودرهم ضرب في دارا (وبالبهلوى بجرد) سنة ٤٣ في خلافة معاوية ولكنهُ مثقوب

ودرهم ضرب في البيضاء سنة ٤٧ في خلافة معاوية

ودرهم ضرب في ولاية زياد بن ابي سفيان في اسطخر سنة ٥١ وقد كتب على وجههِ من الجهة اليمنى بالبهلوي اسم زياد ابن ابي سفيان وعلى دائره باسم الله بالكوفي

ومثلهُ الدرهم المرسوم في الشكل التالي فوق الرقم ٨ وقد كتب عليهِ بالبهلوي انهُ ضرب في البيضاء ايضاً سنة ٥٢ وكتب على دائرهِ بالكوفي باسم الله ربي

ومثلهُ درهم ضرب في البصرة سنة ٥٣ في ولاية عبيد الله بن زياد وكتب الى يمين وجههِ بالبهلوي اسم اوبيتالابي زياطان (اي عبيد الله بن زياد) وعلى دائرهِ بالكوفي باسم الله

وقد كان عند صاحب الدولة عزت باشا العابد مجموعة كبيرة من النقود الاسلامية وضع لها كتاباً بالتركية والفرنسوية شرح فيهِ كل نقد منها

من ذلك اربعة دراهم ضربت في هراة في عهد الامام عمر سنة ٢٠ وعليها صورة كسرى انوشروان وعليها بالبهلوي كلمة خسرو وبالكوفي بسم الله والحمد لله . واثنان ضربا في خلافة الامام عثمان واثنان في خلافة الامام علي وثلاثة في ولاية معاوية بن ابي سفيان واثنان في ولاية زياد بن ابي سفيان وثلاثة في عهد يزيد بن معاوية ويلي ذلك كثير من المسكوكات الاموية اولها درهم ضرب في البصرة سنة ٧٩ في خلافة عبد الملك بن مروان وعلى وجههِ لا اله الاَّ الله وحدهُ لا شريك لهُ وعلى دائرهِ بسم الله ضرب هذا الدرهم بالبصرة في سنة تسع وسبعين . وعلى ظهرهِ الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفؤا احد وعلى دائرهِ محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ ولو كره المشركون

والدراهم المرسومة في الصفحة المقابلة مرسومة بقدرها الحقيقي وقد رسم من كلٍّ منهما وجههُ وظهرهُ ووضعت تحتها اعدادها في مجموعة النقود السلطانية وهاك ما كتب على كل منها

العدد ٨ على دائر وجههِ بسم الله ربي بالخط الكوفي وفي وسطهِ بالخط البهلوي « ام افزود » واسم « هوسروى » اي كسرى . وعلى ظهرهِ اسم محل ضربهِ بيش (اي البيضا) بالخط البهلوي وتاريخ الضرب دو بنجا (اي ٥٢)

العدد ٣١ على وجههِ كلمة ام افزود بالخط البهلوي واسم سليمن بالخط الكوفي وعلى دائر الوجه كلمة عبد اي طيب بالخط البهلوي . وعلى ظهرهِ كلمة تبورستان بالخط البهلوي وسنة هفت سي ست بالبهلوي اي ١٣٧

العدد ٥٥ فلس نحاس كتب على وجههِ عبد الملك امير المؤمنين وعلى ظهرهِ لا اله الاَّ الله وحدهُ [محمد رسول الله]

العدد ٥٦ دينار ذهب وعلى وجههِ

الله احد الله
الصمد لم يلد
ولم يولد

وعلى دائرهِ بسم الله ضرب هذا الدينر في سنة ثمان وسبعين

وعلى ظهرهِ

لا الله الاَّ
الله وحدهُ
لا شريك لهُ

وعلى دائرهِ محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ ومحل ضربهِ لم يذكر

العدد ٨٣ درهم الكتابة على وجههِ كما على الدينار السابق وفيهِ انهُ ضرب بحران سنة سبع وثمنين

العدد ١٦٦ درهم الكتابة على وجههِ

لا الله الا
الله وحدهُ
لا شريك لهُ

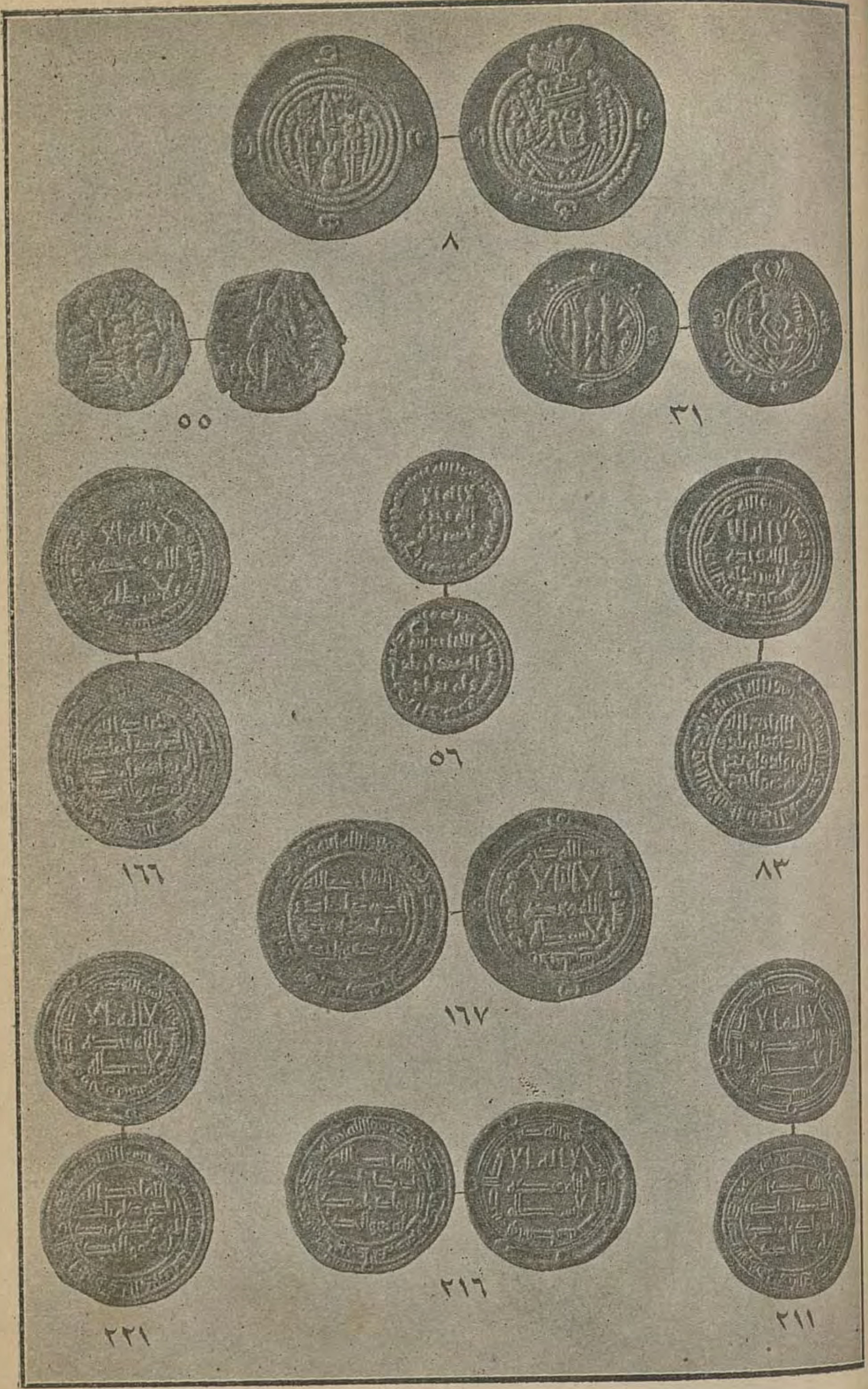

النقود الاسلامية القديمة

مقتطف ابريل ١٩٢٤
امام الصفحة ٤٠٦

وعلى دائر الوجه بسم الله ضرب هذا الدرهم بافريقية سنة خمس وعشرين ومية
وعلى ظهرهِ
الله احد الله
الصمد لم يلد و
لم يولد ولم يكن
لهُ كفوءًا احد

وعلى دائرة محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ ولو كره المشركون

العدد ١٦٧ مثل السابق ولكنهُ ضرب بالاندلس سنة خمس عشرة ومية

العدد ٢١١ الكتابة على وجههِ لا اله الاَّ
الله وحدهُ
لا شريك لهُ

وعلى دائرهِ بسم الله ضرب هذا الدرهم بواسط سنة ست وعشرين ومية
وعلى ظهرهِ
الله احد الله
الصمد لم يلد و
لم يولد ولم يكن
لهُ كفوءًا احد

وعلى دائرهِ محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدبن كلهِ ولو كره المشركون وهناك خمس دوائر صغيرة

العدد ٢١٦ مثل الدرهم السابق ويخالفهُ ان في دائرة وجههِ سبع دوائر صغيرة

العدد ٢٢١ الكتابة عليهِ كالكتابة على الدرهمين السابقين ولكنهُ ضرب بالجزيرة سنة سبع وعشرين ومايه وحول وجههِ خمس دوائر صغيرة

وربما زدنا هذا الموضوع ايضاحاً في عدد مقبل وتبسطنا في الكلام عن النقود وتاريخها وما طرأ عليها من التبديل في العهدين الاموي والعباسي

امين سعيد

المقتطف والنفس الروحية

وقع نظرنا على مقال في عدد مارس من مجلة المشرق تحت هذا العنوان للاب انطون صالحاني اليسوعي صدَّره بفقرة نقلها عن المقتطف الصادر في يناير الماضي وهي هذه

« لما اعلنت السينتفك اميركان انها تعطي الفين وخمسمائة ريال للوسيط الذي يثبت ثبوتاً ينفي كل ريب انهُ يستحضر روحاً من ارواح الموتى كما يدعي الوسطاء تلقينا ذلك بملء المسرَّة لانهُ اذا استطاع احد الوسطاء ان يثبت ذلك انجلت مسألة من اغمض المسائل مسألة يسلّم بها كثيرون بطريق الايمان والثقة بما جاء عنها في كتب الاديان ولا ينكرها غيرهم ولكنهم (قد) يرتابون في صحتها او يقولون لا ندري وهؤلاء المرتابون واللاادريون قد يكونون ايضاً من العلماء الذين لا شبهة في ان انكارهم لم يقع لانهم اباحيون بل لان عقولهم لا تستطيع ان تتصور وجود غير المادة وخواصها ومن هذه الخواص الحياة والشعور والتعقل بين ان كثيرين من الذين يعترفون بوجود ارواح الموتى والثواب والعقاب هم من افسد الناس سيرةً وسريرة »

وكلمة قد التقليل التي وضعناها هنا بين هلالين غير واردة في هذه الفقرة كما نشرت في المشرق ولا واردة فيها كما نشرت في المقتطف ولا ندري الآن كيف سقطت لاسيما وان هذا التعميم مخالف لرأينا ولما نجاهر بهِ دائماً وقد ايَّد ذلك الاب صالحاني بشاهد آخر ورد في جوابنا على احدى المسائل في الصفحة ١١٠ من ذلك الجزء عينهِ من المقتطف لكنهُ استدرك على ذلك قائلاً

« فاذا كان اكثر الفلاسفة وقسم من علماء البيولوجيا يقولون الآن بالمذهب الروحي فالى اي برهان يستندون أإلى العلم ام الى الايمان لا ريب في انهم يستندون الى البراهين العلمية العقلية فلماذا لم يذكر المقتطف ذلك في معرض كلامهِ عن مناجاة الارواح والنفس الروحية »

والجواب انهم يستندون في ذلك الى الايمان او الى دليل فلسفي او الى الاثنين كما نستند نحن ولا يستندون الى البراهين العلمية لان قولنا انهم يستندون الى البراهين العلمية كقولنا انهم يستندون الى علوم الحساب والجبر والهندسة والكيميا والفسيولوجيا والبيولوجيا لاننا نريد بالعلم Science عند الاطلاق ما يريد بهِ علماء اوربا اي العلوم الرياضية المبنية على الاوليات والطبيعية المبنية على التجربة والامتحان

وقد ابنا ذلك مراراً كثيرة ولم يخطر لنا ان مثل الاب صالحاني يخفى عليهِ هذا الامر. ولذلك اهتمت مجلة السينتفك اميركان بامتحان الاعمال التي يدعي الوسطاء انها اعمال ارواح من ارواح الموتى حتى اذا ثبتت دعواهم صار وجود ارواح الموتى أمراً يمكن اثباتهُ علميًّا مثلما يثبت وجود الاجسام المادية او وجود الكهربائية والنور والحرارة وثبت حينئذٍ علميًّا ان الجسم يحيا بشيءٍ عاقل يدخلهُ ثم يخرج منهُ حينما يموت وان ذلك الشيء يبقى في الوجود مستقلاً وحافظاً قواهُ التي كانت لهُ وهو في الجسم المادي فيتذكر ويستدل ويستنتج ويحرك الايدي فتكتب والموائد فترتفع ويفرح ويحزن ويتألم . ويقول السر اوليفر لدج العالم الطبيعي الشهير ان روح ابنهِ ريمند الذي قُتل في الحرب ظهر له مراراً واقنعهُ بوجودهِ بادلة حسية لا تقل عن الادلة التي يثبت بها وجود الاحياء فانهُ كان يكلمهُ بلسان الوسيط ويخبرهُ بامور لا يعلمها أحد سواهُ. ومن هذا القبيل قول الدكتور السر ارثر كونن دويل وقول المرحوم المستر ستد فانهما قالا انهما رأيا أرواح الموتى تصور بالفوتوغرافيا والذين يعرفون أصحاب تلك الارواح يرون صورها مماثلة لصور اصحابها . فاذا كان ما قالوهُ صحيحاً فيكون قد قام دليل علمي على وجود ارواح الموتى واذا كان ما قالوهُ غير صحيح فتكون المسألة لا تزال معلقة من حيث اقامة الدليل العلمي

وقد بحثنا نحن في كثير من الادلة التي ذكرها المستر ستد والسر اوليفر لدج والسر ارثر كونن دويل وامثالهم فلم نرَ فيها دليلاً واحداً يسلم عقلنا بصحتهِ وهذا هو رأي اكثر الذين وقفنا على آرائهم في هذا الموضوع وهم من علماءِ الطبيعة المعروفين. وكل الذين وقفنا على أقوالهم من علماءِ الطبيعة الذين يعتقدون بوجود ارواح الموتى لا يبنون اعتقادهم على دليل علمي بل على اقتناع ديني او فلسفي

ومع ذلك فاننا نتمنى ونرجي ان يقوم اليوم او غداً دليل علمي قاطع يقنع كل أحد ان ارواحنا تبقى بعد موت اجسادنا حيَّة مدركة بكل حواسها الباطنة تحت عين خالق الكون لعلَّ هذا الاقناع يوثق ربط الاخاء بين طوائف الناس ويرسخ في نفوسهم انهم متساوون في عين الخالق ويزيل ما نراهُ الآن من الجشع والظلم والجور والكذب والنفاق وسائر الموبقات التي دنست الارض وجعلت اوربا دار حرب وبلاء وحللت لبعض اهلها استعباد غيرهم من الامم كأَنهم انعام سائمة

هذا ونتقدم بالشكر لحضرة الاب صالحاني لانهُ بانتقاده نبهنا الى اصلاح خطإٍ وقع سهواً واتاح لها ان نزيد مرادنا بياناً

ماهية التاريخ

هل تعرف كيف نشأت في وسط هذه البيئة الاجتماعية التي تتحكم في افكارك ومشاعرك التحكم كلهُ ؟ وهل تفقه من سبب يجعل خضوعك لحكم البيئة التي نشأت وربيت فيها تامّاً كاملاً ، في حين ان عقلك طالما نزع بك الى الثورة ضد النظام القائم من حولك ؟ وهل تعرف من سبب طبيعي ترجع اليهِ اذا حاولت أن تعلل حقيقة ذلك العراك القائم في دخيلة نفسك بين ما يوحي اليك بهِ عقلك ، وبين ما تقسرك عليهِ مشاعرك ؟ اذا كنت في حيرة من امرك ازاء هذا كلهِ ، فارجع معي الى جزائر البحار النائية ، الى جزائر «تاهيتي» او جزائر «ارض النار» ، وطف بمجاهل تلك البقاع التي لم يشعّ فيها المدنية شعاع ، ولم يرسل اليها العلم بخيط من خيوطهُ المضيئة ، منذ انفصلت ارضنا عن بقية النظام الشمسي لتدور حول فلكها المرسوم . هنالك وبين عشائر المستوحشين تلمس بيدك حقيقة ما يعني الطبيعيون «بالوراثة الطبيعية» التي خرج بها الانسان من ماضيهِ المشحون بما تعرف ، وهو ضئيل تافه ، وبما لا تعرف ، وهو تيه موحش تعجز مخيلتك عن انهُ تدرك طرفاً من اطرافهِ ، الاّ قليلاً

على ان اخص ما تقع عليهِ مما يحيط بك من حقائق الحياة الانسانية في فطرتها الاولى ، خضوعها خضوعاً اعمى لحكم الغيب ، دون حكم الشهادة . تحفّ بك حياة قوامها الشعور لا غير ، ولن تقع على اثر من آثار الحياة العاقلة التي تسكن لحكم العقل ولا تجاري العواطف وقواسر الطبيعة البشرية . وابلغ ما يأخذ بروعك في تلك الحياة ، انك تلفي نفسك محوطاً بعالم من الارواح فيهِ جمال ، وفيهِ وحشة . فالصخور القائمة حولك ، والاشجار الحافة بك ، والماء والسماء ، والدواب والهوام ، بل انت نفسك ، عبارة عن ارواح تتخايل اليك في سيرك وضجعتك ، في نومك وهجعتك ، في غدوتك وروحتك ، متحكمة في ماضيك ومستقبلك ، مؤثرة في سرك وعلنك . وعلى الجملة يخيل اليك انك روح مسيرة في وسط عالم من الارواح ، منفصل عن عالم المادة

ولا يسبقنّ الى حدسك أنك ثمرة مباشرة لمدنية القرن العشرين . فان ما فيك من أثر الماضي ، من أثر آبائك في العصور الاولى اكثر مما فيك من أثر المدنية الحديثة . فانت ابن الذين اعتقدوا بتعدد الآلهة ، بل ابن الذين عبدوا الاحجار والاصنام والحيوان والنبات ، وقدسوا الوهم واماتوا العقل ، ومشوا مع الخيال ونبذوا حكم القياس المنطقي . فيك من أثر تلك البيئة أضعاف ما فيك من أثر القياس

في الفلسفة ، والتوحيد في الدين . بل جل ما بينك وبين آبائك من ، فرق انك اجتزت دوراً لا يزال اولئك المستوحشون في جزائرهم النائية عنواناً عليهِ في الزمان الحاضر . فاذا فخرت بانك من ابناء القرن العشرين ، قرن العلم والمدنية ، فلا تنسَ ذلك الماضي لتتخذ من القياس عليهِ نبراساً تستضيء بهِ ظلمات بحثك في تاريخ النوع الذي انت تابع لاحدى سلالاتهِ ، ولتتذكر دائماً أنهُ من الاحرى بك ان تقول «كانت ابائي» بدل ان تقول «كان الاولون»

في عصر من تلك العصور التي قطعتها الانسانية في شوطها نحو المدنية الحديثة كان المعتقد ان الازمات التي أحاطت بالشعوب ، لا بل كل ما حفَّ بالافراد من مطاليب الحياة وقواسرها ، راجع الى فعل إرادة علوية تفعل في الجزئيات فعلها في الكليات ، وأن كل لبانات النوع الانساني خاضعة لتأثير قوة من قوى الغيب او ما يسمونهُ ما وراء الطبيعة ، تحتكم في كل دورة من دورات الحياة مهما ضؤل أو عظم شأنها . لذلك لم يشعر العقل الانساني بحاجة ماسة لكي يستكشف سر العلاقة الكائنة بين «الماضي» و «الحاضر» ليربط بينهما بسلسلة منظومة من الاسباب الطبيعية . بل أخلد لحكم الطبيعة والزمان فظل العقل لغواً طوال تلك الاعصر التي نزلت فيها الانسانية على حكم المشاعر وحدها . لهذا تجد أن التاريخ لم يُعنَ بشيء اذ ذاك عنايتهُ باقوال مجموعة من الافراد والاشادة بذكر لفيف من الناس برزوا من بين الصفوف المتراصة ، وحكمت المشاعر بانهم ظلٌّ من ظلال السماء فوق الارض ، وانهم المنفذون لما يريد القضاء ولما يملي القدر في تلك الجموع التي استنامت لحكم المعتقد الثابت حتى سلبهم ذلك المعتقد قوة البحث فظلوا على الوهم عاكفين ، غرقى في السبات حول تلك الاسس التي شيد عليها صرح المجتمع البشري . ولما أن انقضى ذلك العصر بما فيهِ من بواعث التخيل ، وبما كان فيهِ من أوجه الجمال ، مقرونة بموحيات القوة الشاعرة وحدها ، واستكشف العقل أن لموجات الحوادث الانسانية التي طمت على الازمان الاولى نظاماً تخضع لهُ ، اشبه بنظام سير الاجرام في أفلاكها ، وأن الشعوب التي تطفو على وجه الحياة ، والشعوب التي تبتلعها الحوادث الاجتماعية ، فتطمر في جوف الازمان ، هي بذاتها مظهر من مظاهر الحياة وحقيقة من حقائقها ، غير أنها تمتُّ باصلها البائد الى أبعد الازمان ايغالاً في احشاء الدهور الاولى ، محوطة بآثار ما فيها من طبيعة الحركة وفطرة التقدم ودوافع الارتقاء ، هنالك شق التاريخ لنفسهِ في حياة الجماعات سبيلاً بكراً ، وتوجه العقل

سلطاناً مسيطراً على ناحية من نواحي المنفعة المحققة التي ينشدها الانسان في هذه الحياة الدنيا. هنالك نبذ التاريخ طريقة العكوف على الكلام في دسائس الامراء وذوي المطامع من اهل الجاه، وترك الكاهن في معبدهِ يحاول ان يفسد السياسة بالدين ويفسد الدين بالسياسة، واهمل حاشيات الملوك ومنافستها، ومماحكات قواد الجيوش ومناظراتهم، وعمد الى تدوين اوجه الحركة والنظام الذي يفيض بهِ نهر الحياة الانسانية، وطالما طفت على وجههِ الملوك والامراء على مدى العصور وكأنهم فقاقيع متفجرة او فضلات الهشيم المتناثرة تتلاعب بها أمواج يم ثائر ادركهُ المدّ في ليلٍ معتكر الظلام

قد تقول غير هذا. قد تقول ان تعليل حوادث الحياة الانسانية اذ اخذ يبتعد شيئاً فشيئاً عن فكرة القول بان جزئيات الحياة وكلياتها جارية على مقتضى الارادة العلوية، بعد ان عمد الناس الى تعليل الظواهر الكونية بالاسباب الطبيعية، رجع العقل عن البحث وراء المصادر التي تحرك الحوادث، الى البحث في الاسباب التي كونت الجماعات الانسانية. وهنا اتخذ التاريخ على انهُ قاعدة ثابتة لا يستطيع باحث ان يلجأ الى غيرها من ضروب المعارف الانسانية اذا ازمع ان يفقهُ شيئاً من طبيعة الحوادث «الحاضرة»، او ان يكتشف ناموساً يستهدى بهِ ان هو اراد ان يتدبر «المستقبل»

نظر في التاريخ هذه النظرة. نظر فيهِ بتلك العين التي ينظر بها الجيولوجي الى بقايا الحفريات المستحجرة ليتخذ منها حلقات وسطى تربط بين الانواع المختلفة. فان المؤرخين طالما حاولوا باستعماقهم في درس الحالات العامة التي قامت في كل عصر من العصور، ان يستشفوا حقيقة البواعث والاسباب التي تمكنهم من اكتناه المؤثرات الخفية التي تربط بين حوادث عصر حاضر بابعد الحوادث وقوعاً في احشاء التاريخ الانساني

تمكن هذا التصور من عقول الباحثين تمكناً، وتغلغل في معتقد الناس، حتى ان كل عقيدة او مذهب او نظام مدني او اجتماعي، بل الفكرات الطافية على سطح الحياة اليومية، قد لقي جماعها من الانصار من حاول ان يستكشف في تاريخها من الحلقات ما يربطها بحادثات وقعت خلال ابعد العصور ايغالاً في صميم القرون الاولى، اي بحادثة اجتماعية او تصور من التصورات او بمبدإٍ او مذهب فلسفي، او باسطورة من اساطير الاولين. في ذلك نزعة من نزعات الفكر. فانك تجد ان الراديكاليين يحاولون ان يقطعوا شوط الارتقاء قفزاً على الضد من كل تجانس في نظام الطبيعة، تأييداً لوجهة نظرهم في الحياة، وان الرجعيين باعتقادهم ان مدنية العصور الاولى اقرب الى مناهج الفطرة من مدنية العصور الحالية، يعملون جهدهم ليصدوا تيار التقدم راجعين بالافكار

والمذاهب والمعتقدات الى اوابد العصور الغابرة ، على النقيض من سنن النشوء ونواميس الارتقاء ، فلا تستطيع الاَّ ان تحكم بان هؤلاءِ جميعاً انما يساقون في طريقهم سوقاً بمقتضى حكم الطبيعة ومبادىء الحياة ، فيجهدون انفسهم ويعنتون عقولهم ، ليثبتوا أن لتصوراتهم ومعتقداتهم علاقة وصلة « بالماضي » الذي تقدسهُ المشاعر ، وان حكم ضدهُ العقل . كل هذا ليبرروا ادعاءهم بان معتقدهم وشرعتهم احق بالحياة والبقاء في عصر « حاضر »

ولماذا نقصر استشهادنا على الراديكاليين والرجعيين ، او اية فئة من فئات الفلسفة او العقائد ، ونعني جبابرة الملوك والقياصرة فوق عروشهم الرهيبة ، من حكم تلك النزعة التي تصور اكثر ما في التاريخ من حوادث ؟ ألم تر ملوك الدولات العظمى كيف نزلوا عما كانوا يدعون من استمداد سلطانهم من الله ، وكيف رجعوا عن الدعوى بان ارادتهم مستمدة من الارادة القدسية ، فتراهم وقد نزلوا على حكم الزمان وساووا بين انفسهم والدهماء في نظر التاريخ ، فلم يجدوا من مبرر يبررون بهِ وجودهم ، بعد ان تقوضت اركان حقوقهم المدعاة في سالف الازمان ، الاَّ ان يلجأوا الى ذكر ما كان لوجودهم من أثر في قيام المدنيات وارتقاءِ الشعوب ، وانهم كانوا القوامين على الشرف الوطني ان تعبث بهِ الايدي الاجنبية ، وانهم كانوا حفظة لآداب وخزنة المصالح الوطنية ، وانهم كانوا اول الآخذين بيد البلاغة والفن ، وانهم اول من عمل على سعادة الجماهير . الى غير ذلك مما يرويهِ التاريخ ؟ نجد من هذا عامة ان الملوك ورؤساء الدين ، اصبح حكمهم ازاء التاريخ حكم اصحاب المذاهب والمعتقدات ، اذ يحاولون ان يتخذوا من « الماضي » وثائق يعززون بها « الحاضر » ، ويزكونهُ بما فيها من الادلة والبراهين

وان تعجز تلك النزعة التي صورت التاريخ على هذه الصورة عن ان تجد من الفكرات والنظريات ما يؤيدها . فكما ان التقاليد التي يرثها الفرد عن آبائهِ الاولين ، وطريقة التربية التي خضع لسلطانها ، والحوادث التي انتابتهُ في الحياة ، ومجمل الاحوال والمؤثرات التي كونتهُ ، لا بد من ان تترك فيهِ أثراً يظهر بارزاً في اخلاقهِ ، ويتخذ دليلاً على ما فيهِ من عزة وشرف في حاضره ، كذلك الحال في السوابق التاريخية التي وقعت في الحياة والافكار العامة ، قد يمكن ان تتخذ برهاناً يقتطع من « الماضي » لتبرر بهِ الحالات « الحاضرة » . غير ان هذه السوابق التاريخية اذا اتخذت اسانيد موثوقاً بصحتها وقوتها وان دلالتها على الاشياء ثابتة لا مبدل لها ، فتعمد سابقة منها الى ان تثبت ، بحكم العقل ونزعة البحث ، انها ذات الاثر الاول في ابراز الاسباب التي ساقت الى

حوادث الازمان الفارطة ، معتمدة في ذلك على ما تقدمها من السوابق الاخرى ، فانا نشعر بان تلك الشبكة المتخالطة التي تنسجها السوابق التاريخية متنافرة الاجزاء تنافراً لا يعزز الرأي القائل بان دلالتها على الاشياء والحوادث ثابتة ، وان الباطل ونزغات المشاعر لا تأتيها من بين يديها ولا من خلفها . وقد نسوق هذا الحكم عينهُ على اولاء من فلاسفة المؤرخين الذين يحاولون ان يعزوا السبب في نشؤ الجماعات الانسانية الى فعل مؤثر بعينهِ من المؤثرات العامة ، كتأثير الطقس او الفواعل الجوية ، او البيئة الطبيعية او علاقة رجل بالمرأة او مبدأ بقاء القوة في نظام المادة الى غير ذلك

ان « كارليل » اكثر الباحثين استعماقاً في حقيقة الفكر ، واشد الكاتبين تبياناً لضؤولة المعرفة الانسانية ، قد نصح لكل المؤرخين ان ينصرفوا عن كل محاولة يراد بها اثبات ان نشؤ الجماعات الانسانية راجع الى فعل مؤثر بذاتهِ من مؤثرات الكون او الحياة ، وان الاجدر بالمؤرخ ان يبرز صورة واضحة جلية للعصر او الحادث الذي يؤرخ فيهِ ، ليخرج منهُ عظة او عبرة تنتج نفعاً مادياً في العمليات . لان ذلك في رأي « كارليل » اولى بالمؤرخ من ان يتطوح مع الظن ، ومن ثم يخيّل اليهِ ان يتصور او يعتقد انهُ بتعليل نشؤ الاجتماع والجماعات استناداً على تفسير ظاهرات مبدأ من مبادىء الكون ، قد بلغ الى ابعد اغوار الطبيعة وانهُ احاط باسرار الغيب والمجهول ، في حين ان المعرفة الانسانية مقيسةً باسرار تلك العوالم الخفية ليست الاَّ كفلينة طافية على وجه بحر ما تبلغ لهُ من قرار

غير ان « كارليل » مع هـذا الاعتقاد يحتم على كل الباحثين وعلى الاخص المؤرخين منهم ، ان ينزعوا الى البحث في « الماضي » — اذ يقول — « ان الماضي عبارة عن نبع المعرفة الفياض الذي لا نستطيع بدون ان نسترشد بضيائهِ ، متعمدين او مدفوعين اليهِ بحكم الفطرة ، ان نتدبر الحاضر او نحدس عن المستقبل »

على هذا واستناداً على فكرة كارليل نريد ان نثبت ان للتاريخ ناحيتين لكل منهما كفاءة عقلية خاصة تتدبرها وتكبرها ، ومن ثم تعود اليها . فان اعتبر التاريخ على انهُ مجرد رواية للحوادث ، اصبح راجعاً الى كفاءة الوصف في العقلية الانسانية . وان اخذ التاريخ على انهُ تفسير فلسفي للحوادث اصبح عائدا الى كفاءة التأمل

من هنا نستطرد الى الكلام في كلتا الناحيتين لنفصل بينهما ، ولنعرف اثر كل من الناحيتين ، ناحية الوصف وناحية التأمل في التاريخ ، في ارشاد الاجيال الحاضرة او اكتناه خفايا المستقبل

اسماعيل مظهر

ثورة آراء

من الناس من لا يرى للآداب معنى ولا قيمة . اذا قلت له ما أجمل الشرف اجابك جملة فارغة . واذا قلت ما أحسن إنكار الذات في سبيل المنفعة العامة قال كلام فارغ . واذا قلت ما أعظم فائدة الخضوع للقوانين الادبية قال اعتقاد فارغ . وهكذا كل شيء ادبي ليس له عنده معنى ولا قيمة . اناس مثل هذا ذوو عقول ونفوس فارغة أضر بالانسانية من جراثيم اخبث الامراض

***

ليست كل أنانية مذمومة . لانها على نوعين . أنانية قصيرة النظر واخرى واسعته . فالاولى منحطة مهلكة للمجتمع والثانية راقية ورافعة له . وصاحب الاولى ينكمش في نفسه ويتخيّل أنه الكل في الكل فلا يعمل الا للذة نفسه وراحتها وسعادتها بكل الطرق مشروعة كانت او غير مشروعة . والثاني يعتقد انه قطعة من المجتمع الانساني وعضو من نوعه . وانه مهما سعد ومهما ارتقى فهو شقي منحط ما دام مجتمعه بائساً وضيعاً . ومهما كان حرًّا عزيز الجانب فهو ذليل ما دام على وجه الارض انسان واحد مستعبد مغبون

***

من اجمل العواطف وارقاها محبة الحيوانات الاليفة والاعتناء بها والرفع من شأنها . وهي ادق مقياس لطيبة قلب الانسان . وان نظرة محبة وعطف يوجّهها الإنسان الى كلب لهي نوع من التسبيح للإله

***

كثير من الآلام مفيد حتى أن الادوية أغلبها مر المذاق . ولا اعلم لماذا نكره الآلام لانها آلام ونحب اللذات لانها لذات. ان اللذة لا يجب أن تكون المقياس عند اختيار الاشياء بل يجب ان تكون المنفعة هي المقياس وعندئذ نجد ان فوائد الآلام اكثر من فوائد اللذات على وجه العموم حتى ان اكثر الاطعمة غذاءً ونفعاً للانسان هي اقلها لذة في المذاق. ان الانسان الكامل هو الذي يعرف كيف يتلذذ بالآلام المفيدة اكثر مما يتلذذ باللذات المضرة او القليلة الفائدة ويعرف كيف يجعل ذلك ملكة فيه

من الناس من يعيش خائفاً قلقاً مضطرباً طيلة عمرهِ . اذا جلس خلتهُ قاعداً على نار مضطرمة . واذا مشى رأيتهُ كمن سيتخطفهُ الشيطان . واذا نام نام كالذئب او القنفذ . واذا تكلم خلت لسانهُ مقيّداً فلا يجد الشجاعة الكافية لابداء آرائهِ. واني لا اعلم لماذا لا يريح هذا الانسان نفسهُ مع ان كل ما هو مكتوب لهُ في لوح القدر سوف يحدث لهُ حتماً . فان كان سيقتل فسيقتل.وان كانت ستقلع عينهُ فستقلع. وان كان سيصاب بمرض مزمن مؤلم فسيصاب بهِ .وان كان سيسرق منهُ كل ما يملك فسيسرق . فلماذا اذن يعيش في خوف واضطراب

اكثر اعمال الانسان وتصرفاتهِ غريب عجيب فمثلاً الانسان الذي يقتل غيرهُ يقتلهُ اما لانهُ ينافسهُ في الاستيلاء على شيء مادي او ادبي واما انتقاماً لضرر اوقعهُ بهِ . فالذي يقتل شخصاً للسبب الاول يكون واهماً اذا اعتقد انهُ قد تخلص من المنافسة لانهُ ما دام اجتماعيًّا بطبعهِ وما دام عائشاً في مجتمع حتى ولو كان مكوناً منهُ ومن شخص آخر فقط فلا بد من انهُ سينافس لان منافسة الغير طبيعة في الانسان. وكل شخص مع اعتقادهِ انهُ فانٍ يتمنى امتلاك العالمين . والقوة سبب الطمع واساسهُ . والضعف سبب القناعة واساسها . والذي يقتل انساناً للسبب الثاني يكون مخطئاً ايضاً اذا اعتقد انهُ قد عاقبهُ على ما نالهُ من الضرر منهُ لانهُ يكون في الحقيقة قد كافأهُ احسن مكافأة . كافأهُ بنقلهِ من هذا العالم الذي لم يزل عالم شقاء وتعب وجهل وغرور الى عالم آخر ارقى منهُ بكثير

***

كل شيء في العالم اسيء فهمهُ والعمل بهِ في هذا الزمان الأغبر فأصبحت الحرية التخلص من القيود الادبية والخروج عليها ومطاوعة الامراض النفسية . والمساواة مساواة الفاضل بالرذل اي مساواة الفضائل بالرذائل . او تجريد الفضائل من قيمتها الادبية العظمى . والاخاء مصادقة الافاضل الاتقياء لجماعة الادنياء . اي اخاء الفضيلة للرذيلة . والسعادة جمع المال بجميع الطرق شريفها وخسيسها وانفاقها على جميع اللذات البدنية لا غير من ملبس فاخر ومسكن فخم ومأكل شهي وما شابه ذلك . والوطنية التعصب للوطن والتعدي على الامم الاخرى واستعبادها والعمل على إسقاطها وسلب خيرات بلادها . والتديُّن التعصب للدين والجمود والتمسك بالخرافات التي تشوب جميع الاديان . والانسانية التظاهر بالعواطف الكريمة واللطف . والتفوّه بكلمات يخرج اغلبها من الفم لا من القلب

مونبليه حسين احمد عابدين

الخديوي اسماعيل

بحث في تاريخهِ لدى ذكرى وفاتهِ في مارس سنة ١٩٢٤

ان الملوك اذا سقطوا عن عروشهم كافأهم الجمهور في الغالب بالثلب ونكران الجميل اذ ينزلهم عن مراكز قوتهم وجبروتهم يرفع عنهم حجاب الملك المقدس الذي طالما

إحتجبوا وراءهُ فتعظم سوآتهم وتنكمش حسناتهم وتصغر جلائل اعمالهم وتتغلب السياسة على التاريخ فتختنق الحقيقة ويمحق الباطلُ القليلُ الخيرَ الكثيرَ ويتشجع العاملون على قلب الحقائق فيغلو الباطل ويصبح ثميناً

وما شأن الخديوي اسماعيل بشاذ عن هذه القاعدة. فقد ظل عرضة المثالب والنقد الباطل الى درجة لم يصب بها الا قليل من الملوك قبلهُ او بعدهُ ومع ذلك مر زمن كان فيهِ عزيز قومه في بلاده والصديق المفضل على غيرهِ من الامراء في اوربا. مضى زمن كان النائلون منهُ اشد المعجبين بهِ. مضى زمن تغنّى فيهِ القوم بمحاسن اسماعيل وعبقريتهِ وما حصلوا عليهِ في عصرهِ الذهبي

فهل من سبب لهذه المتناقضات التي تواجه الباحث في تاريخ اسماعيل؟ لماذا يواجه الباحث شخصين يتباينان خلقاً ومنزلة والمسافة بينهما كالتي بين القطبين؟ لماذا انقلب العالم الاوربي على اسماعيل بعد ان حرق لهُ بخور المدح والاعجاب زمناً غير قصير؟

لا يلبث الباحث ان يهتدي الى تفسير هذا التباين

في ٢٣ مارس سنة ١٨٧٦ صرّح دزرائيلي رئيس حكومة انجلترا في البرلمان تصريحاً هامّـا ردًّا على سؤال وُجّه اليهِ. اما السؤال فهو بهذا المعنى «هل لرئيس الوزارة ان ينشر التقرير الذي قدمهُ المستر كيف الذي ارسلتهُ الحكومة لفحص حالة المالية المصرية بناءً على طلب الخديدي اسماعيل»؟ اما الجواب فهو: —

«ان الحكومة كانت تود نشر التقرير لولا ان الخديوي رجا حكومة جلالة الملكة ان لا تذيع محتويات التقرير نظراً الى حالة البلاد ولانهُ يعتبر مهمة كيف مسألة شخصية بحتة». ومعنى هذا ان مالية البلاد اصبحت لا تتحمل اذاعة الحقيقة عنها

وفعلاً وقع هذا التصريح كالصاعقة في الدوائر المالية وعبثاً حاول الخديوي اصلاح الحالة بعد ذلك حتى مع طلبهِ نشر التقرير رسميًّا

يظهر لي ان هذا التصريح كان بمثابة انذار للناس وللدائنين خاصة بان الخديوي قد افلس او كاد. وكان الدائنون الى تلك اللحظة يظنون ان الخديوي سيظل يقترض بلا خوف ولا نهاية وان لمصر ثروة لا تفنى ودخلاً لا ينضب لهُ معين. اما بعد هذا التصريح فقد ظهر للملأ عجز الخديوي اسماعيل واصبح لا يمكنهُ ان يملأ بطون الذين منوا انفسهم ان يثروا على حسابهِ

يظهر من ذلك انهُ ما دام الخديوي يقترض ويولم الولائم ويقوم بدفع الحساب

كله او بعضه كان الناس يولونهُ عطفهم ويكثرون من مديحهِ فلما ضُيق عليهِ ولم تعد لهُ قدرة على الاقتراض انفضوا من حولهِ وانهالوا عليهِ باللوم والتقريع . هذا تعليل التباين والمناقضات التي يلاحظها الباحث فيما كتبهُ الغربيون اذ يرى ان اسماعيل كان الى سنة ١٨٧٥ شخصاً يختلف اختلافاً كليًّا عن اسماعيل بعد هذا التاريخ

اذن فالعوامل التي كانت سبباً في اثارة مدح اسماعيل او هجوهِ هي عوامل شخصية بحتة اساسها الماديات والمصالح ولا يمكن ان يستدل منها على مكان الحقيقة

ولقد ادى بي البحث والدرس فيما تجمَّع لدي من الحقائق عن اسماعيل الى نتيجة لا يخالجني في صحتها اقل شك

ذلك ان الخديوي اسماعيل كان اميراً عظيماً وكانت آمالهُ ومطامعهُ واعمالهُ عظيمة ايضاً سواء كان ذلك بالنسبة لنفسهِ واسرتهِ او بالنسبة لمصر. فلقد قام بمشروعات كبيرة يجب ان تكون عنوان فخر كل مصري وموضع اعجابه. وأما سوء خاتمة عهدهِ فسببهُ ما اتخذهُ من الوسائل للوصول الى اغراضهِ فانهُ اراد في سنين قليلة ان ينفذ أعمالاً كان حسن انجازها يتطلب سنين كبيرة ونفقات طائلة لا تقوى على تحملها الأحكومات اكثر من مصر ثروة واغزر مالاً

وانهُ ليجدر بنا بادئ بدء ان نذكر ان سبب الكارثة المالية التي اودت بالخديوي في النهاية لم يكن مجرد انفاقهِ كما يدور في الاذهان ويعتقدهُ الكثيرون بل ان سببها كما جاء في تقرير المستر كيف سنة ١٨٧٦ « يمكن قصره على الشروط الفادحة للاموال التي اقترضها الخديوي لحاجات ضرورية ولاسباب لم يكن لهُ في احوال كثيرة سلطان عليها الاَّ قليلاً »

حقاً ان اول ما يستلفت نظر الباحث في تاريخ اسماعيل هو شدة اقبالهِ على القروض الاجنبية فلقد عمل من اول الامر على اجتذاب رؤوس الاموال الاجنبية الى مصر وذلك بدفع فوائد زائدة لاصحاب الاموال حتى اذا اجتمعت استخدمها في انجاز مشروعاتهِ الهامة . والذي شجعهُ على طرْق هذا الباب احوال اوربا في ذلك الوقت — وقت استثمار رؤوس الاموال بالاكتتاب في شركات السكك الحديدية التي كانت قد انشئت حديثاً وفي الشركات التجارية والمصارف والنقابات. وكان القوم في اوربا يستثمرون اموالهم في المشروعات الاجنبية . وكانت مصر في ذلك الوقت تعتبر من ضمن الاسواق المالية في العالم فكان طبيعيًّا ان يجود القوم باموالهم وان يرحب الخديوي بها ايما ترحيب

اما سبب الثقة بمصر فانها كانت يومئذٍ تجني ربحاً طائلاً لسبب اختفاء القطن الامريكي عن الاسواق لقيام الحرب الاهلية في امريكا (١٨٦٢ — ١٨٦٥) اولاً. ولسبب الغاء الرقيق فيها ثانياً والرقيق كان عماد المزارعين في الاقاليم الجنوبية. فانتهز اسماعيل هذه الفرصة وعمل على اعلاء شأن زراعة القطن في الدلتا. وكانت زراعة القطن قد ادخلت في مصر في عهد محمد علي وانتشرت زراعتهُ تدريجياً حتى اصبحت مصر في آخر ايام سعيد تصدر مقدار ٥٧٠٠٠ بالة في كل بالة ٥ ١/٢ قنطار

غير انهُ الى اسماعيل يرجع الفضل في توسيع زراعة القطن حتى صار أهم محصولات البلاد وبلغ مقدار ما تصدرهُ مصر ٢ ١/٢ مليون قنطار في سنة ١٨٧٥ وسعر القنطار ٣٠٠ قرش الى ٣٥٠ قرشاً

ولما رأى الاعيان الارباح العظيمة التي يمكن ان تعود من زراعتهِ تشبهوا باميرهم وزرعوا اراضيهم ثم تبعهم صغار المزارعين والفلاحين فاقبلوا على زراعتهِ. وكانت نتيجة هذا الانقلاب الزراعي ان فاضت البلاد بالثروة والرخاء الى درجة لم تعهدها مصر من زمن بعيد. فقد كثر طلب القطن من الخارج للاسباب التي ذكرناها وزاد الطلب على المعروض فارتفعت الاسعار ارتفاعاً هائلاً وبلغ سعر القنطار ١٢ جنيهاً فزاد بذلك مقدار الذهب الوارد من لنكشير واقاليم اوربا الصناعية الاخرى هذا فضلاً عن الاموال التي دخلت مصر عن طريق الاسواق المالية

ما ذا ننتظر؟. بلد زراعي قبل كل شيء غير صناعي زادت فيهِ الثروة زيادة فجائية لا عهد للناس بها؟ بالطبع عمَّ الاسراف وبسطت الايدي كل البسط وانتشرت المضاربة. وكان اسماعيل اول من اغتر بهذه الثروة الطائلة فاخذ ينفق بسخاء وظهرت في اخلاقهِ صفة كانت الى ذلك الحين مختفية وهي صفة الانفاق على الطريقة الشرقية المعروفة فشيد القصور والمباني العامة وفرشها بافخر الاثاث واقام الولائم الفاخرة وتشبه كبار الاغنياء والموظفين بسيدهم فازاحوا عنهم حجب العصور الوسطى وظهروا رافلين في حلل المدنية الغربية وخلعوا ملابسهم الشرقية واستبدلوها بالبذلة الاسلامبولية وسكنوا قصوراً على الطراز الحديث وجلبوا اليها اثاثاً غربيًّا واشتروا كثيراً من الرقيق الابيض وطافوا في شوارع المدينة والمتنزهات تقلهم العربات وتشبهوا بمليكهم فاقترضوا الاموال من الاجانب

ولكن سرعان ما انقضى هذا العصر الذهبي فقد انتهت الحرب الاهلية في أمريكا وعم السلام البلاد فعاد القطن الامريكي الى الظهور في الاسواق وهبطت

أسعار القطن المصري هبوطاً سريعاً ولم تجنِ البلاد في النهاية من عصر الرخاء الاّ زيادة الضرائب وكثرة الديون وانهاك الاراضي الزراعية . وكان الواجب على الحكومة في تلك الحالة أن تتدبر وتنقذ البلاد من ورطة مالية وبيلة العواقب وذلك بأن تخفض الضرائب وتقتصد في المصروفات وتمتنع عن اقتراض المال حتى يعود التوازن المالي . ولكنها تغافلت عن الحقيقة وخافت أن تظهر امام العالم بمظهر غير لائق بسمعتها الاولى . فاستمرت تجبي الضرائب الفادحة من الاهالي الذين زادت مطالبهم وكثرت نفقات معاشهم فقصدوا المرابين ليدفعوا ما عليهم من فوائد الديون وضرائب الحكومة . وكانوا يقترضون المال من المرابين بربا فادح فاضطروا الى بيع أراضيهم بثمن بخس وكثير منهم هجر أراضيهُ ليهرب من فداحة الضرائب التي عليها

ولكن اذا كان الفلاح قد أُخذ على غرة بسبب جهلهِ وعدم معرفتهِ بحالة السوق فلم يعدّ عدتهُ لاستقبال الازمة الاقتصادية فان اسماعيل عرف حقيقة الحال وامكنهُ ان يخلص نفسهُ من الورطة من غير ان تظهر عليهِ علامات الضعف المالي الذي استولى عليهِ كما استولى على غيرهِ . والفضل في خلاصهِ يرجع الى توقد ذهنهِ فانهُ لما رأى ضياع دولة القطن اقام بجانبها دولة السكر .

وكانت قد جربت زراعة قصب السكر ونجحت في مزارع الامير مصطفى فاضل في الوجه القبلي فعمل اسماعيل على ضم هذه المزارع اليهِ ولتسهيل الري حفر ترعة موازية للنيل من اسيوط الى ببا واطلق عليها اسم ترعة الابراهيمية نسبة الى ابيهِ . ثم ضم جميع الاراضي المجاورة للترعة الى الدائرة بالشراء القهري او العرفي . ولزيادة العمران في تلك الجهات وتسهيلاً للمواصلات بدىء بمد السكك الحديدية بين اسيوط وبولاق الدكرور وما لبث ان ظهر اكبر مشروع صناعي قام بهِ الخديوي وهو انشاء ١٩ مصنعاً للسكر . واصبحت مصر في عهدهِ تصدر كميات وافرة من السكر وتنافس في محصولها السكر الاجنبي حتى في اسواق اوربا . وبلغ ما تصدرهُ سنوياً مليون قنطار من السكر قيمتهُ ٨٠٠٠٠٠ جنيه

ولقد قال كاتب اوربي عن احياء زراعة السكر في مصر في عهد اسماعيل « ان هذا المشروع كان عجيباً ويندر ان يكون لهُ نظير في تاريخ التجارة » غير ان ارباح المشروع لم تكف لتحسين مركز الخديوي المالي فتشددت الحكومة في جباية الضرائب وزادت فيها زيادة كبيرة فاضافت اليها ضرائب وعوائد ومكوساً مختلفة حتى بلغ دخلها اكثر من ١١ مليون جنيه ومع ذلك لم يكفِ هذا المبلغ لادارة حكومة

البلاد وسد المطلوب من الخديوي ومن الحكومة

واضطرت الحكومة ان ترهق الفلاح بكل الطرق لتحصل على آخر قرش عليهِ لتدفع اقساط الدين الثقيلة التي كانت تطالب بها المصارف التي لا تؤخر ولا ترحم

ولكن رغم العسر المالي الذي وقع فيهِ الخديوي رأى انهُ يحسن بهِ ان يواصل الظهور بمظهر المسرف كيما يوهم دائنيهِ باوربا مع ان الاسراف لم يكن من خلقهِ وليس ادل على ذلك من دقتهِ وشدتهِ المتناهية في مراقبة حساب املاكهِ وثروتهِ الخاصة

حقًّا عاش الخديوي عيشة الملوك وشيد القصور واقام الولائم والافراح واحتفى بملوك اوربا وامرائها ونبلائها احتفاءً لم يعرف لهُ نظير في العصور الحديثة ولكن عذرهُ في ذلك ان الطبيعة البشرية تقضي على المدين بان يظهر امام دائنيهِ ظهور القادر الواثق من مركزهِ المالي . على ان هناك قائمة ضافية الذيول تنبيء عن الاعمال المجيدة التي قام بها اسماعيل مقابل ديونهِ العظيمة

قال اسماعيل « لكل انسان غرام بشيء خاص وغرامي بالمونة والحجارة » ولا مراء انهُ انجز في ست عشرة سنة من الاعمال العمومية ما لم تصل اليهِ همة اي ملك آخر في الازمان الحديثة . وان ما اقامهُ لويس الرابع عشر في باريس ليتضاءل امام ما احدثهُ اسماعيل في القاهرة والاسكندرية . سر اينما شئت في القاهرة فلا بد ان يقع نظرك على قصر او حديقة او ميدان او منتزه او مدرسة او تمثال او شارع او حي او ضاحية باكملها انشأها اسماعيل .وان فيما جد في القاهرة من التغيرات لشاهد عدل على ما كان لهُ من الذوق السليم والهمة القعساء . فقد شملت عنايتهُ واصلاحاتهُ جميع احياء القاهرة (ما عدا العريقة في القدم)

وكان من رأي اسماعيل ان ينجز كل الاصلاح والتحسين باسرع ما يمكن فتسابق مع الوقت . كل ذلك ليظهر امام الملوك والامراء والعظماء الذين دعاهم لحضور فتح قناة السويس بمظهر الملك العظيم ولتضارع القاهرة باريس في جمالها وتنسيقها فتكون عاصمة البلاد مقرًّا مناسباً لعظمة مليكها . وعلى ذلك بدىء العمل بهمة زائدة وتعذر السير في الطرق لكثرة مهمات البناء كما ذكر بعض السياح في ذلك الوقت. وفي سنين قليلة تغيرت معالم القاهرة واصبح القادم اليها لا يكاد يصدق نظرهُ لفرط دهشتهِ مما يراهُ من التغيير كأنما هو امام مبان شيدها مصباح علاء الدين في حكاية الف ليلة وليلة

وانا لو شئنا ان نذكر بالتفصيل كل ما اقامهُ الخديوي اسماعيل من المنافع والاعمال العامة كالخطوط الحديدية والاسلاك التلغرافية وحفر الترع وبناء المنارات

واصلاح المواني وخاصة ببناء الاسكندرية والسويس لقضينا الوقت في حصرها . هذا فضلاً عما انفقهُ في سبيل التعليم وهو اخفر صفحة يسجلها التاريخ لهُ وفي مشروع المحاكم المختلطة والامتيازات التي كسبها من الباب العالي وفي قناة السويس وتوسيع نفوذهِ وفتوحاتهِ في افريقيا وانشائهِ دولة مترامية الاطراف كل هذه موضوعات يستغرق كلٌ منها مقالة باكملها

***

كل هذه المشروعات زادت في نفقات الحكومة ولم تكن ثروة مصر وحدها مع زيادة دخلها كافية لابلاغ اسماعيل درجة الكمال التي كان يصبو اليها فعمد الى القروض ذات الفوائد والمصاريف الباهظة وزادت الحالة المالية خبالاً واشكالاً فاضطر في النهاية الى اصدار امر في ابريل سنة ١٨٧٦ بايقاف دفع ربا الديون مؤقتاً . ومنذ ذلك اليوم بدأت المشكلة المالية المصرية وبدأ معها التداخل الاوربي في شؤون الحكومة الداخلية اذ ترتب على ذلك تكوين لجنة صندوق الدين لتمثيل اصحاب الديون من الاجانب. ويعتبر تكوين صندوق الدين اول تحديد فعلي لسلطة الخديوي اذ اصبحت اللاجنة بمثابة حكومة مستقلة داخل الحكومة في مصر . وقد كان من رأي الخديوي اولاً انهُ ليس ثمة خطر من اجتماع مندوبي الدائنين ولكن ما لبثت الحالة ان تغيرت لما تداخلت الحكومات نفسها لصيانة مصالح الدائنين فاوجدت في مصر حالة سياسية ليس لها مثيل في تاريخ الحكومات المستقلة

وفي يوليه سنة ١٨٧٧ كتب معتمد انجلترا الى حكومتهِ يقول « ان الحكومة المصرية مواظبة على دفع اقساط الدين ودفع الجزية على الرغم من نفقات الحرب التي اشتبكت فيها مع تركيا ضد الروسيا » . ولكنهُ ابدى تخوفاً من سوء العاقبة لأن الفلاحين كما قال يئنون من تحمل عبء ثقيل من الضرائب . وختم كلامهُ بقولهِ « ان الامة الانجليزية تتحمل تبعة كبرى ازاء هذه الحال »

ولكن بينما كانت الحكومة الانجليزية تظهر استعدادها لارغام اصحاب الديون على احتمال بعض التضحيات كانت الحكومة الفرنسية متصلبة الى درجة غريبة غير معقولة حتى اصبح اهتمامها بالمركز المالي في مصر اكثر من اهتمامها بالمركز السياسي فكان غرضها الوحيد صيانة اصحاب الديون بأية طريقة كانت من غير تبصر او اظهار اية عاطفة نحو اهل البلاد كما كانت تفعل الحكومة الانجليزية ولو ظاهراً . والقارىء للوثائق السياسية المتبادلة بين الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت وبين

ممثليها في مصر تستولي عليهِ الدهشة لتمكن المسألة المالية من اذهان رجال السياسة الفرنسيين. ويظهر ان المسيو وادنجتون وزير خارجية فرنسا وهو من اصل انجليزي سكسوني قد ضحى بكل مصالح فرنسا مقابل احتفاظهِ بالاتفاق مع انجلترا التي كانت ترغب في انضمام فرنسا اليها في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ وبينما كان السبيل الوحيد لحل المشكلة المالية المصرية ومنع الحكومة الانجليزية من تحقيق امانيها في هذه البلاد هو اشراك جميع الدول في البحث في المسألة رأى الوزير الفرنسي ان يأخذ من اعضاء المؤتمر عهداً بعدم المناقشة في المسألة المصرية ووافق بسمرك والمؤتمر على ذلك اعتقاداً بان هذا لا بد ان يؤدي الى وقوع الشحناء بين الدولتين يوماً ما

والحقيقة ان مؤتمر الدول باوربا كان قد فقد كل اهتمام بالمسألة المصرية منذ ان سويت ازمة سنة ١٨٤٠ . وعلى ذلك تقيدت فرنسا بلزوم السير مع انجلترا خطوة بخطوة . واذا ما اشترك اثنان في معالجة امر من الامور كان تفوق واحد منهما أمراً لازماً لا بد منهُ وليس ادل على اي الدولتين كانت الغالبة من وضع السير رفرس ولسون في وزارة المالية والمسيو ده بلنيير في الاشغال

ولهذا مهدت فرنسا لنفسها طريق انتحارها السياسي في مصر وقضت على الجهود التي بذلتها حكومتها منذ بدء القرن التاسع عشر في سبيل المحافظة على حكومة وطنية في مصر محالفة لفرنسا مستقلة بقدر الامكان عن تركيا . فعملت اكثر من اي دولة اخرى على اسقاط اسماعيل ولم تتردد نهائياً في الالتجاء الى الباب العالي لاصدار الامر بعزل اسماعيل صاحب الحق الوراثي الذي ورث محمد علي صديق فرنسا الكبير. وذهب اسماعيل في النهاية ضحية سلطان المال

غادر الخديوي البلاد بناءً على أمر الدول في آخر يونيه ١٨٧٩ وذهب الى ايطاليا حيث اعد لهُ الملك همبرت الاول ملك ايطاليا قصر «لافافورينا» قرب نابلي مقاماً . ويقال ان ملك ايطاليا قدم هذا الصنع الجميل مقابل أموال كان قد اقترضها والده فكتور عمانويل الثاني من الخديوي ولم يعرفها . ولقد عاش الخديوي في مقامهِ الجديد عيشة راضية ساكنة . واخيراً سمح لهُ بالمقام في القسطنطينية فغادر ايطاليا وعاش في قصر مركون من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٨٩٥ فكانت هذه المرحلة من حياتهِ انكد أوقاتهِ فقد حاطهُ السلطان عبد الحميد الثاني بالعيون والجواسيس وحظر عليهِ الخروج من قصرهِ وتوالت عليهِ الاسقام فتأثرت حالتهُ الصحية وفاضت روحهُ في ٣ مارس سنة ١٨٩٥ وعمرهُ اذ ذاك خمس وستون سنة . ونقلت رفاتهُ الى

حيث دفن في ١٣ مارس في مسجد الرفاعي باحتفال كان بالغاً النهاية في المهابة والجلال

وسيبقى اسم اسماعيل في التاريخ كامير اتيحت لهُ جميع الصفات والفرص التي كانت كفيلةً بان تجعل حياتهُ أعظم من الحياة التي عاشها لولا انهُ كانت تعوزهُ صفة ضرورية هي الصبر . فقد كان متعجلاً في الحكم على اخلاق الناس وفي اختيار أصفيائهِ وفي عقد قروضهِ . ولما كان رجلاً تجول في خلدهِ أفكار عظام ومشروعات ضخمة اضطرتهُ قلة صبرهِ الى الافراط في مواردهِ واستعمال سلطتهِ الفردية افراطاً خُشي معهُ على سلامة ملكهِ وبلادهِ

فلو كان حولهُ اصدقاء يخلصون لهُ النصح لزال الخطر ولكن اخلاق اسماعيل كانت تأبى ان يتداخل في شؤونهِ أي انسان لا لسبب سوى ان ارادتهُ كانت تتغلب على ارادة الجميع . وانهُ ليخالجنا الشك في ان يكون قد سمع باذنهِ كلمة حق عن حقيقة الحالة من أحد المقربين اليهِ اذ لم يكن ليجرؤ احد على ذلك

ومن دواعي الاسف ان الخديوي لم يحرص على الاستمرار في دعوة مجلس النواب الذي انشأهُ في سنة ١٨٦٦ ولو عقد المجلس باستمرار لتعلم النواب طرق العمل ولخلصوا الخديوي ومصر من أي سوء يمكن ان يهدد سلامتها ولكنهُ لقلة صبره لم يقوَ على احتمال وجود هيئة قد تحول دون تنفيذ مقاصدهِ بالسرعة التي يريدها

ولئن كانت غلطات اسماعيل الفاني كثيرة فان حسنات اسماعيل الخالد اكثر وابقى . فمصر لا تنسى اسماعيل واصلاحاتهِ والعالم سيذكر على الدوام خدماتهِ للمدنية وللعلم وسوف يتحدث الناس جيلاً بعد جيل بشخصيتهِ ذات القوة والعظمة والذكاء

***

وخليق بنا والبلاد قد اوشكت ان تتم بناء هيكل استقلالها المقدس ان تنقش اسم الخديوي اسماعيل بجانب اسم محمد علي الاكبر وابراهيم الكبير اولئك الذين وضعوا اساس البناء واقاموهُ على صخرة صلبة من عزماتهم وعزمات جيوشهم البواسل من المصريين الذين اضاءوا الطريق امامنا ببريق سيوفهم وكتبوا بدمائهم اول جملة في وثيقة الاستقلال التي ستحررها الامة قريباً ان شاء الله برآسة سعد العظيم والتي سيتوجها اسم جلالة مليك البلاد فؤاد الاول ابن الخديوي اسماعيل

محمد رفعت

مدرس التاريخ بمدرسة المعلمين العليا

نظامنا الاجتماعى

(٥) كيف تستأصل الرذائل وتربّى الفضائل

« تقدّم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يريد الإسلام فبعد أن نطق بالشهادتين قال إنى أقترف من الذنوب يا رسول الله ما لا أستطيع تركه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعاهدنى على ترك الكذب قال نعم ثم عاهدهُ على ذلك وانصرف وهو يقول في نفسه ما أهون ما طلب منى هذا النبى الكريم فلما اراد الرجل بعد ذلك أن يسرق قال في نفسه إن سرقت وسألنى الرسول فماذا يكون جوابى إن أجبت بنعم فقد حق علىّ العقاب وإن أجبت بلا فقد كذبت وقد عاهدته على ترك الكذب إذن فخير لى أن أبتعد عن السّرقة فابتعد عنها وصار بعد ذلك يتذكر عهده كلما حدثته نفسه بارتكاب إثم فيبتعد عنهُ حتى صلح حاله وصار من خيار الناس العاملين على نصرة الدين والتمسك به وبفضائله » هذا خير سبيل فى استئصال الرذائل وتربية الفضائل فى الفرد والجماعة إن لم يكن هو السبيل الوحيد لمن يريد الإصلاح حقًّا حتى يصل بالنفوس إلى الغاية التى خلقت لها ولا غرو فهذه سبيل رسول الله خير الهداة والمرشدين وإمام الحكماء والمربّين. وربّما تعب علماء الأخلاق وأساتذة التربية في اختيار أقرب طريق لإحلال الفضائل محل الرذائل وتحقيق تلك الغاية السامية بعد أن يفرغوا ما فى جعباتهم من الآراء النظريّة في معامل التجربة من نفوس الأحداث الذين هم أقرب إلى الفضائل منهم الى الرّذائل فكيف يصلحون الشباب والشيب ويجتثون منهم أصول الرذائل وإن كان همّ المربين محصوراً في النشء الحديثين وما أكثر تجاريبهم فيهم وما أقل نجاحها وتلك حقيقة لا ريب فيها وإن آلمتنا ! ولسنا من الذين يغالطون أنفسهم في الحقائق لظاهرة من الظواهر الكاذبة

إن المغالط في الحقيقة نفسه   باغ على النفس الضعيفة عاد

فعلى كل إنسان أن يعاهد نفسه على ترك الكذب قبل أن يعاهد غيره من أولى الأمر على ترك هذه الرذيلة فقد لا يهتم اولو الأمر بهذه المعاهدة لأنهم لم يجدوها فى الامم الخالية ولا المحدثة وإنه يجدر بالأب أن يعاهد أبناءه على ترك الكذب وبالمعلم أن يعاهد تلاميذه على ترك الكذب وبكل رئيس أن يعاهد مرءوسيه على ترك الكذب ولا بد من الرّقابة العامة لتنفيذ تلك المعاهدة الميسورة وتحقيقها . ولأن يضرّك الصدق خير من أن ينفعك الكذب

قال الإمام على كرّم الله وجهه عوّدوا أبناءكم الصدق يعتادوا كلّ فضيلة لذلك نرى ضرورة الكتابة فى الصدق لنوقف القراء على أبحاثه فتتجلى للناس سبيله فيعمل لهُ العاملون وخير القول ما صدّقه العمل فنقول :

الصدق مطابقة الكلام للواقع والاعتقاد فإن أخبر انسان بما يطابق الواقع فقط دون اعتقاده فكذب كقول البوذى (محمد رسول الله) وإن أخبر انسان بما يطابق اعتقاده دون الواقع فكذب أيضاً مثل قول البوذىّ (إن بوذا إله) ولا تكون الفضيلة فضيلة إلا إذا كانت صادرة عن ضمير واعتقاد كما لا يخفى لذلك نعد النفاق من الكذب لان المنافق يظهر خلاف ما يبطن ويعتقد وهذا كذب عملى كما نعدّ الملق من الكذب لأن المملاق أو المتملق الذي يمدح إنساناً بما لا يعتقده فيه ليسرّه بغية الحصول منهُ على منفعة كذاب في قوله كذاب فى عمله والواجب علينا ان نتخذ الصراحة ديدنا فنفتح قلوبنا لمن يخاطبون ونخاطبهم وأن نصدق فى التعبير وفق الواقع والاعتقاد فالنفاق والملق نوعان من الكذب قد وضع لهما اسمان خصيصان بهما والصراحة نوع من الصدق ولكن وضع لها اسم خصيص بها

والصدق اهم القواعد التى تبنى عليها المجتمعات ولولاهُ ما بقى مجتمع ذلك لانهُ لا بد للمجتمع من أن يتفاهم افراده بعضهم مع بعض ليتعاونوا وقد وضعت اللغات لهذا التفاهم ليعيشوا ومعنى الافهام أن يوصل الإنسان ما فى نفسه من الحقائق الى غيره — ألا ترى ان ذلك هو الصدق ألم تر الى التاجر إن لم يعتمد على غلبة صدق المقال لا ينتقل من بلد لآخر لأجل البيع أو الشراء وكذلك الذى يشترى منهُ إن لم يصدق التجار فيما يقولونهُ من الأثمان وما يروى اليه من الاخبار في هذا الصدد لا يقدم على الشراء ولذلك قيل فى المثل رأس مال التاجر صدقهُ ومثل ذلك يقال فى الزراعة والصناعة بل قد يتجاوز ذلك الى الحاكم والمحكوم فإن الحاكم إن لم يغلب عنده صدق الشهود والصكوك والوثائق لا يستطيع رد الحقوق إلى أربابها ولا إنصاف المظلوم من الظالم ولا إثابة المحسن ومعاقبة المسىء. كذلك المدرس ان اعتاد الكذب أضر بتلاميذه لانه يقذف فى عقولهم معلومات كثيرة الأغلاط فإذا ظهر امره لديهم كذبوه فى كل ما يقولهُ لهم وإن كان صدقا والكذب في العلم كالكذب فى المعاملة إن لم يكن شرا منه

وقد يصل ضرر الكذب الى الديانات والشرائع فانا اذا لم نصدق ما جاء فيها من عظيم الآداب وصادق التشريع لكنا هملا لا ندين بدين . والكذب فى كل اولئك ونحوها يخل بالمقصود من المجتمع الانساني فيتصدع به بناء الوحدة ويختل

نظام العدالة فتصبح الامم فراداً لا يراعى كل فرد إلاَّ فائدة نفسه دون غيره

فظهر من هذا كله ان الصدق عليه مدار نظامنا الاجتماعى وأن الكذب معول هدمه كيف والمتصف به فاقد مزية النطق الذي من شأنه ان يكون إعرابا عن الحقيقة . ومما يشاهد فى شأن الكذب أن الكذبة الواحدة قد تقتضى كذبات لتغطيها وهيهات ذلك لأن الكذاب يخلق فى الدنيا بكذبه مالم يوجد . يخلق خيالا لا يتفق والواقع وقد يضطره هذا الخيال أن يكذب كثيرا ليوفق بين الواقع والخيال كما يفعل بعض الصحفيين في زمننا هذا . أما أسباب الكذب فكثيرة اهمها ما يأتى

(١) ولوع المرء بمدح نفسه بما يتخيله جالباً للفائدة أو مدح من سيمتُّ إليه بصداقة أو قرابة أو يرجو منه نفعا جزاء ذلك المدح كالشاعر المدّاح والصحفى المأجور وإذا استمر الإنسان على هذا المدح لتلك المقاصد المقيتة صار له الكذب ملكة راسخة فتراه لا يخلو كلامه من الكذب ولو حاول ان يقول صدقا فإن الخلق ابن العادة كما تقدم ذلك فى مقالنا السابق وعلى هذا القياس من اعتاد الصدق فإنه يؤثره على الكذب ولو أضرّ به

(٢) التخلّص من المسئوليّة والعقاب كما نشاهد ذلك كثيرا فى المحاكم والمصالح والصناعات وإن كانت الحقائق تظهر بعد ذلك كالشمس فى رائعة النهار إن كان المحقق قديراً والرئيس ذكيا خبيرا بالأمور بصيرا

(٣) الخداع كما فى حالة الحروب فقد ترى امة محاربة لأخرى تكذب عليها للايقاع بها كأن تقول إنها ستهاجمها من جهة لا تريدها أو تأخذ فى الهجوم من ناحية وفى عزمها الهجوم من ناحية أخرى وهذا نوع من الكذب ممدوح لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الحرب خدعة) وشواهده تشاهد فى هذه الأيام الحاضرة كما شوهدت فى الأيام الغابرة

(٤) تهوين الأمر على المريض مع القيام بعلاجه لئلا تزداد آلامه أو تترك الحسرة فى نفسه آثاراً سيئة تحدث امراضا أخرى . وقد أباح علماء الاخلاق الكذب فى هذا الموضع رحمة بالمريض وذويه ولكن يجب على المريض ألا يكذب على الطبيب فى مرضه ولا فى بيان اعراضه كذلك يجب على الطبيب أن يصدق مع المريض فى العمل اكثر من القول إن رأى ان قول الصدق ضار بالمريض كما تقدم

وكما يكذب الانسان على غيره كصاحبه وأخيه وأمته يكذب على نفسه وكثيرا ما يكون ذلك كمن يحاول ان يخلق لنفسه الاعذار عن كسله او بخله او قسوته أو

جبنه خداعا لنفسه وصرفا لها عن الحق . وقد يغرق الإنسان في هذه الحال حتى تصير عادة له وحتى لا يستطيع له ان يميز الحق من الباطل والصدق من الكذب ويكون مثله مثل من يطيل الإقامة فى الظلام فإذا صادفه النور فجأة لم يستطع تمييز ما فيه. وإن اولى الناس بالعناية الخلقية والتربية الحقيقية هم الأحداث لأنهم مهيئون الى الخير أكثر من الشباب والشيب فعلينا ان نربى فيهم أصل الفضائل أعنى الصدق بأن نعاهدهم نحن الآباء والمدرّسين على ترك الكذب وأن نكون نحن نماذج حسنة فى الصدق فى اقوالنا وفى الوفاء بوعودنا ووعيدنا بلا شطط أو تفريط وأن نبعث فيهم الاحساس بحقائق الأشياء وأن نباعد بينهم وبين الأقاصيص الباطلة والخرافات التى سمعناها من آبائنا أو أصحابنا أو اطّلعنا عليها في المؤلفات ككتاب الف ليلة وليلة وقصص الأبطال الذين سلفوا كعنترة العبسىّ وإبى زيد الهلالى ومهلهل التغلبي فإنها محشوّة بالاساطير وإن كان عنترة من أشجع أهل زمانه وأبو زيد من أجرأ أهل عصره وأوانه ومهلهل صاحب الغارات الشعواء والكتائب الجأواء الا أنهم لم يكونوا بالدرجة التى وصفهم بها أولئك القصاصون ولم يخوضوا بحر تلك الدماء التى أراقوها ولم يقولوا كل تلك الأشعار التى أنشدوها وإن كان لهذه القصص فوائد للكبار من حيث تقوية الخيال والاستمتاع بلذيذ السّمر مع اعتقادهم بأنها أحاديث خرافة ولكن لا فائدة منها للصغار إلا إضاعة الأوقات وتعويدهم الكذب وتصديقهم بكل ما يقال ولو كان غاية في المبالغة والكذب قياساً على ما قرءوه فى تلك المؤلفات الخرافية وقد دلّنى الاستقراء على فساد عقلية أولئك الناس الذين يستمعون لهذه القصص وعلة فسادها اعتقادهم أنها حق لا ريب فيه وصدق لا شك فيه والواقع أنها كذب لا شك فيه

وإذا كانت القوانين تعتبر مزيفى النقود جناة مجرمين لأنهم يغشّون المتعاملين فى منافعهم المادّية فما قولك فيمن يفسد العقول والقلوب ويزيّف النفوس ويسمّها بالكتابات الكاذبة والأحاديث الملفقة وليس أوقع فى نفس المطالع او السامع من الكلمات القليلة الصادقة التي تصدر حقيقة من القلب إلى القلب . وعلى الجملة فالصدق أصل الفضائل والكذب أصل الرذائل. سئل رسطاليس الحكيم ما ضرر الكذب فقال (الاّ يثق الناس بقولك حين تصدق) . وقال الحسن بن على رضى الله عنهما كبرت خيانة ان تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وانت له به كاذب . وفى هذا بلاغ

عبد الرحيم محمود

المدرس بمدرسة فؤاد الاول الثانوية والمعلمين الثانو

تعاون اجزاء الجسم

بواسطة الدورة الدموية

نستمد النشاط اللازم لكل الاعمال الحيوية من الغذاء بوجه عام ويحصل النشاط في كل الانسجة من تأكسد محتوياتها او من تأكسد الدم الذي يمر فيها وتقوم بذلك عمليات كثيرة تربطها الدورة الدموية بعضها ببعض . وسنبين في هذا المقال كيف تتعاون اجزاء الجسم بواسطة الدورة الدموية ونذكر احدث ما وقف عليهِ علماء الفسيولوجيا (علم وظائف الاعضاء) وسيقف القارىء على العمل الحكيم الذي يقوم بهِ القلب والدورة الدموية

القلب

القلب عضو عضلي مجوف زنتهُ نحو ثلاثمائة جرام وهو ذو قوة عجيبة لتكييف عملهِ والقيام بهِ حسب حاجات الجسم المتنوعة ومبدأهُ في العمل الكل او العدم . ففي الصحة ينقبض لأبعد مدى ممكن وفي وقت الراحة يستعمل اقل قوة ممكنة لدورة الدم في الجسم والاحتياطي الناجم عن ذلك هو الذي يستعملهُ عند الهبوط

الدورة الدموية الناشئة عن انقباضهِ وانبساطهِ تغمر جميع اجزاء الجسم بسائل مشترك تنتقي منهُ كل خلية ما تحتاج اليهِ من غذاء واكسجين وغيرهِ وتصب فيهِ مقابل ذلك الفضلات الناجمة عن حركتها فمن ذلك سنرى ان كل خلية تشترك في العمل مع باقي الخليات . والحامض الكربونيك مثلاً الناتج عن انحلال جميع الخلايا منبه لمركز التنفس وبذا تتمشى حركات التنفس مع حاجة الجسم للاكسجين

يدفع قلب الرجل عادة ما يقرب من اربع لترات من الدم في الدقيقة في حالة الراحة . ويزيد هذا المقدار في حالة العمل الشاق الى خمسة او ستة في الدقيقة او اكثر . واذا قورن ذلك بما تصبهُ حنفية المنزل العادية وجدنا انها لا يمكنها ان تصب ٣٠ لتراً في الدقيقة بل للحصول على هذا المقدار يلزم حنفية فتحتها بقدر فتحة حنفية الحمام التركي . فمن ذلك ترى ان في هذه الحالة يجب ان يمر جميع دم الانسان في القلب ويتم الدورة الدموية مرة كل عشر ثوان اي ستة مرات في الدقيقة مع العلم بان القلب يدفع الدم ضد ضغط فوق ضغط الهواء الطبيعي ومما لا نزاع فيهِ ان هناك عوامل كثيرة بعضها عصبي والبعض كيماوي تفعل في تقليل تأثر القلب اثناء العمل الشاق

ولكن للقلب ذاته مقدرة على زيادة التغييرات الكيماوية وعلى مضاعفة قوته الناجمة عن انقباضه. وهذه القوة كامنة في جدرانه العضلية وبذا يتكيف لكل حالة ويلبس لها لبوسها . أفلا يوجد لهذا التكيف من حد ؟ اذا لم يكن القلب مكتنفاً بغلافه الخارجي (التامور) فانهُ يشتد انقباضاً وانبساطاً كلما زاد الطلب عليهِ حتى يتمزق بعض المنسوج العضلي ثم يقف . ولكن هذا الغلاف المكون من نسيج ليفي متين يمنع التمدد الشديد في القلب ما لم يشتد الطلب عليهِ حتى يصل في تمدده الى باطن التامور ويستحيل حدوث ضربات القلب فيقل جداً مقدار المنصرف من الدم للجسم فلا تجد العضلات ولا القلب المقدار الكافي من الغذاء فيحصل اغماء اي راحة جبرية ويقف الحيوان او الانسان عن الحركة ويحصل القلب على راحة ذاتية تمكنهُ من تجديد نشاطه ما لم يكن من ضروريات الحياة استمرارهُ على العمل بهمة كوجود حالات مرضية اخرى في الكلى او الكبد او الرئتين مثلاً ففي هذه الحالة ينتهي التنازع على البقاء متى وصل القلب الى حدود التامور وينتهي الاجل

دقات القلب المنتظمة

وصل الباحثون الآن الى ان انتظام دقات القلب يتوقف على خاصية خلقية في نفس عضلات القلب وقد تمكنوا من ان يحفظوا منسوجاً عضلياً من قلب فروج ينمو لمدة ١٢ سنة وهي مدة أطول من متوسط عمر هذا النوع من الطيور ولم ينقطع هذا المنسوج عن الانقباض والانبساط بانتظام طول مدة الاثنتي عشرة سنة. وبهذه التجربة انقضى القول بان مصدر ضربات القلب بعض العقد العصبية بل وجد في نفس عضلات القلب في العقدة الاذنية الجيبية والبطنية الجيبية وهما ليستا من العقد العصبية وهذا لا يمنع تحكم الجهاز العصبي في وظيفة القلب مهما اوتي من قوة التكليف النفسية لكي يتمكن من العمل والقيام بوظيفته بحسب التغيرات فيما يحيط بهِ وفي التعاون مع ابعد اجزاء الجسم عنهُ بطريقة اكمل مع الاقتصاد في همته ونشاطه. فمثلاً كل تأثر نفساني او عقلي مصحوب بالم او لذة ومحدث لتحمس او تهيج يصل تأثيرهُ الى القلب ايضاً

التعاون الكيماوي لاجزاء الجسم

سبق لنا القول بان كل خلية تعمل للخليات الاخرى فخليات الرئتين تمد الجسم بالاكسجين وتخلصهُ من ثاني اكسيد الكربون والجهاز الهضمي يهضم ويمتص للكل والكلى هي الطريق المشترك لاخراج فضلات الجسم الذائبة فكل تغيير في اي عضو

من الاعضاء يؤثر حتماً في غذاء باقي الاعضاء ووظيفتها وتقوم الدورة الدموية بعملية هذا التعاون المشترك وفضلاً عن ذلك فانها تعطي الفرصة للتعاون الخاص بين عضوين بعيدين احدهما عن الآخر بواسطة رسل كيماوية تعرف بالهرمون وهذه الرسل او الاجسام تقوم بهذه العمل ولا تمكث طويلاً في الدم بل تفنى

وكل هرمون تفرزهُ مجموعة خلايا خاصة وتدفع بهِ في الدم فلا يؤثر الاّ في خليات خاصة ويستمر افراز الهرمونات وفعلها في جسم الشخص العادي طول الحياة وهي ضرورية لهُ فاذا افرزت بكمية قليلة او انعدمت تأثرت الصحة تأثراً بيّناً ونذكر على سبيل المثل الهرمون المسمى بالسكرتين « Secretin » وهذا تفرزهُ الخلايا البشرية للغشاء الباطن من الجزء العلوي من المعى الدقاق اذا مسَّها حامض خفيف ففي الحالة العادية ينبهها الكيموس المعدي (اي الغذاء المهضوم في المعدة) لانهُ حامض فتفرز السكرتين وبمجرد افرازهِ يمتص في الدم فيصل الى الكبد والبنكرياس وغدد المعدة فينبهها لتفرز افرازاتها الخاصة فبهذا الفعل المنعكس تفرز ثلاث عصارات داخلية في دقيقتين وجميعها لازمة لاتمام عملية الهضم التي ابتدأت في المعدة

وقد عرف كثير من هذه الرسل الكيماوية وعرفت منافعها العجيبة بل لقد ركّب احدها كيماوياً (الادرنالين) وهو افراز داخلي من الجسم الذي فوق الكلية وبعض هذه الافرازات اذا تأثرت او انعدمت بكّر الادراك او الشيخوخة او نشأ عنها تأنث الذكر او تذكر الانثى كما في حالة فقد الخصيتين او المبيضين. والانسولين الذي تكلم عنهُ المقتطف هو افراز داخلي من البنكرياس. والاحشاء التي عرف لها افراز داخلي حتى الآن هي الغدة الدرقية في العنق والبارادرقية والجسم فوق الكلية والغدة النخامية في الجمجمة والتيموسية في الصدر والمبيضان والخصيتان وربما كان للاحشاء افراز داخلي وافراز خارجي. ولهذه الرسل عدا هذا التعاون المادي تأثير نفسي فمثلاً اذا انعدم افراز الغدة الدرقية في شخص فانهُ فضلاً عن تأثر جسمهِ بمرض خاص فان اخلاقهُ تتغير ويفقد لذة الحياة فتراهُ جامداً لاهياً عما حولهُ بعكس ما اذا زاد الافرز عن الضروري فانهُ ينقلب من الشخص العاقل الرزين القوي الارادة الى الشخص المتهيج الذي يزعجهُ اخف الاصوات كما يشاهد في الحماسة الشديدة عند الشبان والشابات وتغير العواطف عند الحيض وعند سن اليأس

سوهاج الدكتور محمد زكي شافعي

البترول والحرب المقبلة

لا يخفى ان السفن البخارية تجارية كانت او حربية صار الجديد منها يسيَّر بالبترول لا بالفحم الحجري وكثير من القديم ابدلت آلاتهُ حتى يستعمل فيها البترول بدل الفحم فاذا لم يكن عند دولة من الدول منابع بترول كافية ودائمة فلا تستطيع ان تناظر غيرها في التجارة البحرية ولا في الحروب بل ان الطيارات كلها يوقد فيها البترول وكذا الغواصات ولذلك فالبترول صار من الزم اللوازم في الحروب البرية والبحرية والجوية عدا لزومهِ في الاضاءة وتوليد الكهربائية وسير السيارات

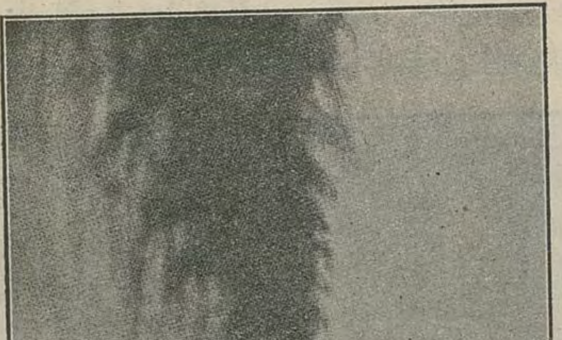

ينبوع في المكسيك والبترول مندفع الى علو ٦٠٠ قدم

وقد جال احد كبار الكتاب في اوربا واميركا وجانب من اسيا وبحث في كل المصادر التي يستخرج منها البترول الآن وكتب في ذلك ثلاث مقالات قيمة في مجلة « العالم الان » الانكليزية فاقتطفنا ما يلي من مقالتهِ الاخيرة

قال اذا نشبت حرب على البترول وبآلات يديرها البترول كانت مجزرة لا تبقي لا تذر . وهذا ليس رأيي وحدي بل هو رأي كثيرين من الثقاة في السياسة والعلم والمال . فقد قال الوزير لويد جورج في احدى خطبهِ باميركا « ان اوربا شرعت تحترق » . وقال في خطبة اخرى . « اذا لم تُتَّخذ الوسائل الفعالة من الآن لمنع

الحرب المقبلة فسنشهد حرباً لا تحسب الحرب الاخيرة شيئاً في جنبها » واذا نشبت هذه الحرب فالمرجح ان يكون الدافع اليها البترول

وقال لي المستر ڤندرلب ولعلهُ اخبر رجال المال باحوال اوربا انهُ لا بدَّ من المبادرة حالاً وسريعاً الى التوسل بكل الوسائل الفعالة لمنع الحرب العالمية التالية . ولا يخفى ان المستر فندرلب هذا هو الذي ادار دفة اميركا المالية مع المستر بيربُنت مورغان منذ عشرين سنة الى الآن

وقد قضيت وقتاً طويلاً مع اديصن (المخترع الشهير) في معمله بنيوجرزي

خزانات البترول قرب لندن كما صورت من طيارة

وكان اكثر حديثنا عن الحرب فرأيتهُ يؤكد ان الحرب المقبلة سيكون مدارها على طيارات تطار بالبترول وغواصات تساق بالبترول . ومما قالهُ لي ان البلدان المنفصلة عن غيرها مثل انكلترا التي تعتمد على السفن لجلب طعامها لا بدَّ لها من أن يكون في بلادها دائماً ما يكفيها من البترول وان تستنبط الوسائل اللازمة لوقاية سفنها من الغواصات التي سوف تفتك بالسفن التجارية فتكاً ذريعاً . ولقد صارت الطيارات والغواصات قضاءً مبرماً على كل السفن الحربية وغير الحربية

واخبرني رئيس كبير من معهد البحث العلمي في حكومة الولايات المتحدة انهُ صار في الامكان اطارة البلون من غير أن يكون فيهِ انسان وتوجيههُ من جهة الى

اخرى بالكهربائية اللاسلكية كأنَّ فيه أناساً يديرونهُ كيفما شاؤوا . وقد سارت بلونات بالكهربائية اللاسلكية مسافة ٩٥ ميلاً بالدقة التامة ورمت ما فيها من القنابل حيث أريد رميها ولم يكن فيها احد . ويقول الفرنسيون انهم سيروا بلوناً من بلوناتهم ٣٠٠ ميل بالكهربائية اللاسلكية ولا انسان فيهِ . وقال الجنرال اموس فريس رئيس دار الكيمياء الحربية في أميركا في تقدير قدَّمهُ الى حكومتهِ ان اليابان تستطيع ان تستولي على جزائر فيلبين في ٤٨ ساعة بالطيارات الجديدة والغاز السام الجديد

وهؤلاء الرجال وغيرهم من الذين حادثتهم في هذا الموضوع موقنون كلهم ان الالات التي يديرها البترول سيكون لها القول الفصل في الحرب العالمية المقبلة . والظاهر أن لنين كان يعلم ذلك فجعل قبلتهُ منابع البترول في باكو بالقوقاس لاعتقادهِ

منظر عام لبقعة قرب باكو مزدحمة بآبار البترول

ان قوة روسيا البلشفيكية قائمة عليها وانها بها ستتغلب على اسيا وتغلب بها أوربا وتنشر مبادئها في القارتين . ولذلك خالف هو وتروتسكي مبادىء شيعتهما واباحا الاستعانة بالاموال الاجنبية لاستخراج البترول من باكو بعد ان جعلا استخراجهُ خاصًّا بالحكومة واكثرا من ابتياع الطيارات من أوربا ولاسيما من ايطاليا . ولم يكتف لنين بذلك بل أوقع المناظرة بين طلّاب البترول من الاوربيين والاميركيين وهو يميز هؤلاء تارةً واولئك أُخرى

ومنابع البترول معروفة في باكو منذ قرون كثيرة . ولما استعملت الطرائق الجديدة لاستخراج البترول منها بلغ ما استخرج سنة ١٨٩٤ قدر ما استخرج من البترول تلك السنة من الولايات المتحدة اي نحو خمسة ملايين طن . وبعد عشر

سنوات استخرج منها في سنة واحدة عشرة ملايين طن اي اكثر من نصف ما استخرج من كل منابع البترول في المسكونة . ثم قلّ المستخرج رويداً رويداً حتى بلغ في بداءة الحرب الماضية ربع ما كانهُ سنة ١٩٠١ ولكن وجدت منابع اخرى في روسيا سدَّت مسدَّ ما نقص من منابع باكو . وقد قال لي مهندس اسوجي ارسل للبحث في تلك المنابع انها اوسع من ان تقاس ولا يحتمل ان ينفد ما فيها مهما استخرج منهُ . ومما يؤيد ذلك انهُ استخرج من البترول الروسي من باكو في ستة اشهر غايتها شهر مارس الماضي اكثر من مائة مليون قنطار ومن غرسي نحو ٤٤ مليون قنطار ومن امبا اكثر من اربعة ملايين قنطار وكلها في روسيا . وان على مقربة

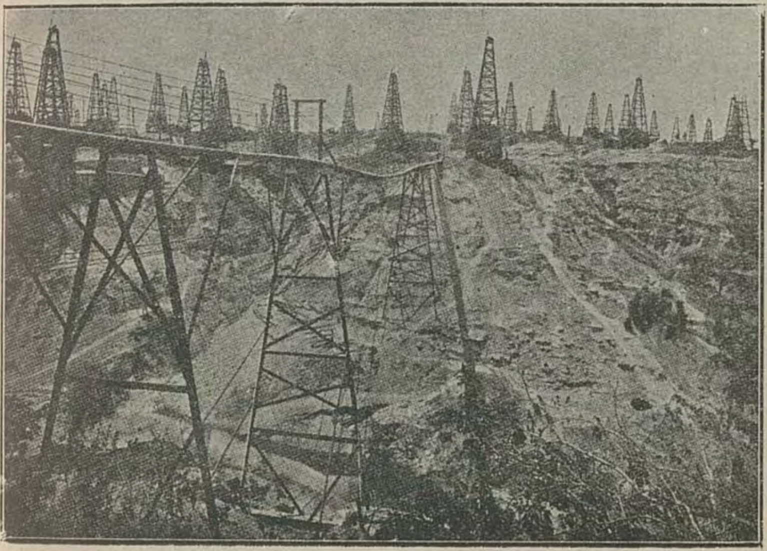

آبار البترول في بلاد برما التي يأتينا بترولها

من باكو ارضاً مساحتها ٥٠٠٠ فدان استخرج منها حتى الآن ٢٥٠٠ مليون برميل . ويقال ان للروس جواسيس عند كل الشركات التي تستخرج البترول في المسكونة للوقوف على احوالها تماماً . ولما نالت شركة الزيت الستندرد الاميركية امتيازاً كبيراً في شمال ايران واعترضت عليها شركة انكليزية عرف لنين ذلك وحاول ايقاع الشحناء بين البلادين لكن الشركتين ادركتا ذلك واتفقتا

والخلاصة ان البترول صار الغرض الاكبر الذي تسعى اليهِ ممالك الارض وتتنازع على امتلاك منابعهِ واذا ادى تنازعها هذا الى حرب بينها فتكون الحرب عليهِ وبهِ

ومعلوم ان البترول وجد في القطر المصري والوزارات السابقة اعطت امتياز استخراجهِ لشركات اجنبية في بقع معينة وحاولت هي استخراجهُ وتكريرهُ من بقع اخرى وانفقت على ذلك نفقات طائلة فلم تفلح ولا يزال في القطر المصري اماكن كثيرة تدلُّ الدلائل على ان فيها منابع بترول تستحق ان تفتح فيجب الاحتفاظ بها الى ان يقوم من اهل البلاد اناس يستغلونها

وقيل ان البترول وجد حديثاً في البلاد الانكليزية في نوع من الصخر المتفتت المسمَّى شايل (Shale) وقدَّر بعضهم ان الاكمة التي وجد فيها مؤلفة كلها من هذا الصخر واذا استخرج كل ما يحتمل وجودهُ فيها بلغ ثمنهُ ١٢٧٩٥ مليون جنيه اي اكثر من نصف ثروة البلاد الانكليز . وقد كنا نبحث مرةً عن الفحم الحجري في جهة من لبنان منذ سنين كثيرة فرأينا فيها سنداً على جانب وادٍ في جهة الشوير وكلهُ من هذا الصخر ولم نكن نعلم حينئذٍ ان البترول يحتمل ان يكون فيهِ افلا يهتم اهل لبنان بالبحث عنهُ

الصباغة وصناعة الاصباغ (١)

ايها الافاضل

جئت اليكم لاحدثكم في موضوع خاص ولكني استميحكم عذراً اذا لم اخفِ عنكم سروري من رؤيتكم مجتمعين الآن لسماع خطبة في موضوع صناعي لان اجتماعكم هذا زادني يقيناً بان بلادكم العزيزة ليست سايرة الى الرقي الاقتصادي فقط بل انها جادة الى الرقي النفسي اي الاخلاقي والدليل ما اشاهدهُ فيكم الآن وما كنت اشاهدهُ منذ ٢٥ عاماً عندما قدمت هذه الديار فكنت كلما تقدمت الى التعرف بشخص كان يقابلني بالبشاشة والرقة المتأصلتين في اخلاق المصريين وبالاكرام وبالاحترام الاَّ ان احترامهُ كان يقل عند ما كان يعرفني تاجراً او مشتغلاً بالصناعات وهذا الازدراء بالتجار وارباب الحرف كان شائعاً خصوصاً في سكان القاهرة وعواصم البلاد الذين كانوا يظنون الاحترام واجباً لاصحاب المناصب الحكومية فقط وان كل من لا صلة لهُ بالديوان هو من عامة الناس لا يستحق التجلة والاحترام ولا يلتفت اليهِ اما الآن فقد تغير الحال وصرنا نرى تقديراً لجهود العصاميين واقبالاً على

(١) من خطبة في فن الصباغة وصناعة الاصباغ القيت في نادي التجارة العليا في ٣ يناير سنة ١٩٢٤

التجارة والصناعة واحتراماً لاربابهما كما اننا نطالع في الصحف مقالات قيمة تحثُّ على الاعمال الحرة وتشوّق الى السعي وراءها وهذه الدلائل اعدها بشائر للرقي النفسي كما قدمت وما هي الاّ ظاهرة من ظواهر الوراثة التي تكمن حيناً في الشعوب ثم تسود ثانية لان من يرى الآثار الخالدة التي ابقاها لنا السالفون من المصريين يدرك ماكان لهؤلاءِ من القدح المعلى في مختلف الصناعات والفنون التي هي موضع دهشتنا نحن المتأخرين كما ان ما ذكرهُ التاريخ لمصر من واسع التجارات وانها كانت قبل انشاء ترعة السويس محطًّا لرحال التجار ونقطة الاتصال بين الشرق والغرب لا يجعلنا نستغرب اذا رأينا روح الصناعة والميل الى التجارة بدأا ينتشران ليعيدا الى هذه البلاد سابق مجدها . ولا غرو اذا ظلت مصر منارة للشرق يهتدى بعلمها ويستفيد الاقربون والابعدون من قرائح اهلها وجهودهم

ان من يقف على تلك الاطلال اي تلك الاثار في الكرنك والاقصر وغيرها ويدخل قبور اولئك الخالدين يرى بين ما يرى في تلك الاثار الثمينة ان المصريين لم يتفوقوا في صناعات الحفر والرسم والبناء فقط بل انهم ضربوا بسهم وافر في صناعات كثيرة واخصها صناعة الصباغة والتلوين فبلغوا فيهما وفي تركيب الالوان ومزجها درجة وقف امامها اليوم كثيرون من علماء الالمان وغيرهم حيارى لانهم وجدوا فيها من الابداع ما لم يصلوا الى معرفتهِ ولما استعملهُ المصريون في تلوينها من المواد المختلفة التي بقيت سرًّا من أسرارهم . وليس ادلّ على ما اقول من النظر الى تلك الرسوم البديعة التي ازدانت بها قبورهم والى الالوان العديدة التي اصطبغت بها ملابسهم ومقتنياتهم وهي باقية للآن على زهاوتها تغالب الايام ناطقة بخبرة صانعها. بل ما يدل ايضاً على تفوق المصريين في فن الاصباغ والصباغة هو انتساب بعض الالوان اليهم . فبلاد تصل منذ الوف من السنين الى اتقان فن الصباغة والتلوين هي بلاد عظيمة وراقية جدًّا لان صناعة الصباغة كانت ولا تزال تشغل مركزاً هامًّا بين الامم يُستدل من رقيها على رقي البلاد والشعوب. ولا اظنكم تجهلون ذلك لان هذا الفن تنتهي عنده وسائط الانتاج وعليهِ يتوقف رواج المصنوعات. ويكفيني ان الفت نظر كل منكم الى ما فوقهُ وما تحتهُ والى شمالهِ ويمينهِ بل الى ما عليهِ وما حولهُ ليرى الالوان ظاهرة في كل شيء ويعلم كيف ان يد الصباغ عملت فيهِ وكان لها الفضل في ظهورهِ بالمظهر البهج للعيون . بل ازيد على ذلك بيان ما في اختيار الالوان من الدلالة على اخلاق المشترين

واذواقهم واعمارهم فالهمجي والريفي والصغير يميلون عادة الى اختيار الالوان الفاتحة الزاهية اما المدني والحضري والمتقدم في السن فيميلون الى الالوان القاتمة

سار الانسان في فن الصباغة في ثلاثة ادوار نعرّف اولها بالدور الاول الذي رأى فيهِ الالوان في الطبيعة على الاشجار وفي الازهار وغيرها فأُعجب بها ومال بكليتهِ اليها واتخذها زينة لهُ وبهرجة فضفر من اغصان الاشجار ومختلف الازهار اكاليل اتزرها وكانت كساءه الاول ثم تطرق من ذلك الى معرفة ما في الاثمار والنباتات والمعادن من العصارات الملوَّنة فدهن بها جسمهُ ثم وشمهُ للزينة ايضاً كما شوهد في اهل استراليا واميركا الاصليين. كذلك اتخذ الالوان رموزاً للعبادة والعقيدة كالذي نراه للآن في الوثنيين من الهنود الذين يلوّنون جباههم بالوان خاصة للتمييز بين طوائفهم وعقائدهم

لم يقتصر الانسان على ما تقدم بل انهُ زاد في المدنية وزاد في تزيين نفسهِ فاستعمل في ذلك جلود الحيوان والياف الاشجار وكان ينتقي منها ذات الالوان. ثم تقدم مرحلة اخرى واخذ في تلوينها بما اكتشفهُ وعرفهُ من مواد الصباغة. وكان اول ما اهتدى اليهِ منها وجدهُ في جذور الاشجار وسوقها وقشورها وازهارها واثمارها كالكركم والفوة والبقم والقرَظ والزعفران والنيلة وامثالها فاستعملها لصبغ لباسهِ ومقتنياتهِ. وهذا هو الدور الثاني ومنهُ يتضح كيف ان الصباغة قديمة العهد وعشت مع الانسان في سيره في ادوار الهمجية ثم الحضارة وكانت ولا تزال المقياس الصحيح الدال على درجتهِ من العمران فيرجع عهدها الى ما قبل التاريخ ولكننا لا نعرف اول من اهتدى اليها او وضع اساسها انما المعلوم ان قبائل الهند الغربية كانوا يحترفونها. ومن الادلة ما يصحُّ معهُ اليقين على ان قبل انتشارها في الهند الغربية كانت معروفة عند امم اخرى متمدنة كاهل الصين والهند الشرقية. وكثيرون من الباحثين يؤيدون معرفة الصينيين لاسرارها. وقد اخذ التتر والمغول عنهم مبادئها ثم زادوا عليهم معرفة بموادّها نباتية كانت ام جمادية وكانوا يصبغون اقمشتهم التي اشتهرت بالوانها كاشتهار الالوان باسماء بلدانهم مثل قولنا الاخضر الصيني والاحمر الهندي. وان هؤلاء لم يقتصروا في التلوين على الصباغة بل توسعوا في ذلك واستعملوا الاصباغ في بصم الاقمشة فاشتهرت مصنوعاتهم هذه كثيراً وكانوا يصدرونها الى البلدان الاخرى وبقيت معروفة باسماء البلدان التي اشتهرت في صنعها مثل مدراس وكشمير ومدامبولان وموصلين وغيرها

بقي اهل الصين والهند خصوصاً محتفظين باسرار فن الصباغة والتلوين الى ان غزا الفرس بلادهم في زمن قورش وقمبيز وداريوس وكان من بعد امتداد فتوحاتهم لاسيا الصغرى وبلاد اشور ومصر ان تألفت سلطنتهم الواسعة التي اوجدت الروابط بين هذه الاقطار ووثقت المواصلات مما اوجب انتشار الصناعات من قطر الى آخر وفي مقدمتها صناعة الصباغة. كذلك فعلت فتوحات الاسكندر ذي القرنين فانها ساعدت على نشر فن الصباغة في مقدونيا واليونان كما ساعد ظهور الاسلام وامتدادهُ في البلاد العربية والهند وسير قوافله بين مكة والقدس وازمير وبغداد واسترخان على نشر الصناعات حتى بلغت من الاتقان غايتهُ. وقد اشتهرت تركيا بالصباغة ايضاً وبقي دليل على هذه الشهرة انتساب اللون الاحمر الى ادرنه والى الترك. واستمرَّ الحال على ما ذكر حتى القرن السابع عشر وفن الصباغة سر من اسرار الشرق مكتوم عن الغربيين بل كان الاوربيون حتى ذلك التاريخ وبعدهُ قليلاً يأخذون الاقمشة المصبوغة من الشرق ويرسلون اقمشتهم اليهِ لكي تصبغ وتعاد اليهم. ففي الشرق نشأت صناعة الصباغة ومنهُ عمَّت المسكونة وهو لم يقتصر فيها على استعمال المواد النباتية بل استعمل أيضاً المواد الحيوانية كدودة القرمز والحلزون البحري الذي عرفهُ الفينيقيون واشتهروا باستخراج الصبغ الارجواني منهُ للباس الملوك والاحبار حتى لقد بلغ ثمن الثوب المصبوغ بهِ ثقلهُ ذهباً

عرف أهل الشرق فن الصباغة والاصباغ الاَّ انهم لم يوفقوا الى معرفة الوانها الزاهية بل كانت ألوانها تضرب الى الكمودة غالباً وقلما كان الصبَّاغ يتمكن من الحصول على لون واحد ومتساوٍ مرتين للصعوبة التي كان يجدها في تحضير المواد ولتفاوت قواتها الملونة ثم للوقت الطويل الذي كان يحتاج اليهِ لاجل اتمامها ولانهُ كان يأخذ فن الصباغة بالتسليم وليس عن علم لان الصباغة كانت كغالب الصناعات في الشرق تتوارثها العائلات خلفاً عن سلف فكانوا يجهلون فعل موادها والمواد المثبّتة اللازمة في استعمالها وقد طال الحال كذلك الى ان وصلت الصباغة الى دورها الثالث وهو الدور الذي اكتشفت فيهِ الاصباغ الاصطناعية التي جاءت ضربة قاضية على الاصباغ القديمة نباتية كانت أو معدنية أو حيوانية فزالت معها الصعوبات ودخل فن الصباغة في طور جديد سهل التناول وسريع الانجاز. وقد نتج عن اكتشاف الفحم الحجري انقلاب عظيم في الصناعات عامة وفائدة كبرى في الحصول على الوقود

للآلات ثم عمت فائدتهُ الى اكثر من ذلك بعد التوصل الى تقطيرهِ واستخراج غاز الضوء منهُ فيتخلف عنهُ رجيع الفحم المعروف بقطران الفحم الذي كانوا يحارون في التخلص منهُ ولا يعرفون لهُ فائدة الى ان اكتشفوا فيهِ عناصر اخرى كالزيت الخفيف والثقيل ثم الكربور والنفتامين والبنزين والفينول وغيرها فصار بعد هذه المكتشفات المعين الثمين لما اكتشف من انواع الاصباغ والعقاقير الكيماوية المفيدة واخصها اصباغ الانيلين الاصطناعية التي نراها الآن في الاسواق وتستعملها المصابغ في صبغ الاقمشة وغيرها

واول ما استُخرج منها كان الحامض البكريك من الفينول والميريكسيد او التريك من الحامض البوليك وهذا كان بين سنة ١٨٣٤ و ١٨٤٩ . في سنة ١٨٣٤ استخرج رنج (F. Runge) من قطران الفحم الحجري مادة اذا عولجت بكلوريد الكلس تكوّن منها صبغ ازرق جميل وتوالت التجارب والاكتشافات الى أن اكتشف بركن Perkin صبغهُ الاول المسمى بالموف Mauve فكان فجر عصر جديد لاكتشافات واختراعات لم ينقطع حبلها ليومنا هذا ثم تبعهُ في هذا الطريق فرجن Vergiuun وكيكيله Kekule وهوفمان Hofmann وغيرهم فاكتشفوا البنفسجي والاخضر وما لا يعد من الاصباغ وكلها من قطران الفحم الحجري ورغماً عن هذه الاصباغ الاصطناعية بقي صنفان من الاصباغ النباتية سائدان ورائجان الصبغ الاحمر من الفوة والصبغ الازرق من النيلة لم يؤثر فيهما ظهور أصباغ الانيلين وظل معهما الاعتقاد سائداً ان لا قوة بشرية تستطيع مقاومة الطبيعة مقاومة تامة وان عالم النبات باقٍ على سؤددهِ في فن الصباغة ! ولكن سرعان ما تبدل هذا الاعتقاد وتزعزعت أركانهُ لما تمكن جرايب وليبرمان Graebe & Liebermann من اصطناع الاليزارين الذي وضع كيكيله أساسه وكان استخراجهُ فوزاً عظيماً للكيمياء الحديثة وبرهاناً قاطعاً على تغلبها على الطبيعة وعلى فساد زعم القائلين بعدم امكان وجود أصباغ اصطناعية تحل محل صبغ الفوة بل ان الاقبال الذي صادفهُ ظهور الاليزارين في الاسواق والانتشار السريع الذي عقبهُ الرواج العظيم كان مما لم يحلم بهِ صانعو الاليزارين . ومن نتائجهِ انهُ قضى على الفوة القضاء المبرم في عالم الصباغة بعد ما بقيت الوفاً من السنين مادة حية ذات رواج لا يظن الاستغناء عنها ممكناً

ظهر الاليزارين وحلَّ محل الفوة لفوائدهِ الممتازة من رخص في الثمن وسهولة

في الاستعمال وقصر في مدة العمل فالصبّاغ الذي كان يصبغ الثوب الاحمر بالفوة وكان يحتاج الى اسابيع ليتمهُ صار يتمكن من صبغهِ في يومين مع ثبات في اللون لا يضارعهُ أي ثبات وجمال يأخذ بالابصار

اذا ذكرت لكم مكتشفي الاليزارين يجب عليَّ ايضاً ذكر من عمل على انتاج هذا الصبغ المفيد وسعى الى تعميم نشرهِ ورواجهِ بين الصباغين اقراراً بالفضل لذويهِ وهذا الفضل يرجع بلا مراء الى المعامل الالمانية وأخصها المصنع العظيم المشهور باسم الباديشه انيلين وصودا فابريك القائم على نهر الرين في لودوبكسافن. كذلك المصنع الشهير مايستر لوسيوس وبرونتج القائم على نهر الماين في هكست اللذين نالا الفخر بان يكفيا الصباغين مؤونة الحاجة الى هذا الصنف المفيد وسدَّا فراغاً عظيماً في عالم الصباغة والبصم

وفي هذا العهد الذي كان فيهِ الكيماويون والعلماء مندهشين ومبهوتين من اكتشاف احمر الاليزارين توصل سترابل وروزنستيل Strobel et Rosenstiel ثم بريدهوم Prud Homme الى اكتشاف اللون البرتقالي واللون الازرق في الاليزارين مما زاد ثقة الناس بتفوّق الكيمياء الحديثة ومستقبل الاصباغ الاصطناعية كما زاد ميل الكيماويين انفسهم الى البحث والتنقيب نظراً لما كان ينجم عنهُ اكتشاف كل صبغ جديد من الشهرة والثروة الطائلة لمكتشفهِ. فاشتغل الكثيرون منهم بتجارب عديدة تفرعت عنها دروسهم وادت الى ظهور انواع كثيرة اخرى من الاصباغ الحمضية á l'acide لصبغ الاصواف والحرائر واهم ما يذكر منها الاحمر الثابت اللون الذي وجدهُ كارو Caro والفكسين والبنفسجي الحامضين ثم مختلف انواع اللعل Ponceau والاسود الازويكي الناعم والدقيق الاجزاء مع ما تبعها من ظهور الاندامين وازرق المثيلين واصفر النافتول والبنفسجي المبلور والكبريتي والرودامين وما تلاها من الاختراعات العديدة لغاية سنة ١٨٨٥. وقد امتازت هذه الفترة ايضاً باكتشاف الاحمر الهندي Congo لصبغ القطن رأساً اي بلا مثبتات والى ما تبقى من صنع الاصباغ الاخرى التي من نوعهِ بالوان متنوعة مع ما استجد مثلهُ في طايفة الاليزارين والالوان الازويكية مثل البرعلين التي تنبسط على الالياف وتأتي بلون اخر حسب طريقة جرين او امتياز هولداي او جرايسلر

سيأتي البقية ثابت ثابت

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستخار على المطولة

قريش والخليفة

ايها الاستاذان الجليلان

قرأت اقتراحكما عليَّ في الجزء الاول من المجلد الرابع والستين للمقتطف الاغر بيان رأيي في لفظتي قريش والخليفة وقرأت مقال الاستاذ كلدة ورأيهُ انهما مأخوذتان من اليونانية وقرأت ادلتهُ على دعواه

واني على اعترافي بما للاستاذ المحترم من الاطلاع على مفردات اللغة اخالفهُ في رأيهِ هذا . امَّا « قريش » فان كل دليل الاستاذ على انها مأخوذة من اليونانية هو وجود كلمة فيها تشبه كلمة قريش في بعض حروفها هي choregos ومعناها رئيس المغنين او كل رئيس مهما كان زاعماً انطباقها على ما عُرف في قصيّ او اولاده من رئاسة الرفادة والسقاية وان اليونان هم سمَّوا قبيلة قريش بقريش قال « فلما سمع غير العرب بامرهم وكان لسانهم يومئذٍ اليوناني سمَّوهم باسم يوافقهم كل الوفاق »

واني لا استغرب كثيراً ان يسمّي اليونان فيما بينهم قبيلة من العرب باسم من لغتهم اليونانية ولكني استغرب ان القبيلة تسمي نفسها بالاسم الذي وضعهُ اليونان لهم وان تسمّيها بقية القبائل ايضاً بذلك الاسم . على ان مادة « قريش » جاءت في العربية كما فصَّل الاستاذ كلدة بمعان كثيرة كل منها يناسب ان تكون قريش مأخوذة منهُ فلماذا نحتاج الى الطفرة الى لغة اخرى فنقول انها مأخوذة منها لمناسبة ضئيلة

نعم ان في العربية كلمات كثيرة قد اخذت من لغات اخر ولكن هذه هي التي لا يوجد لها اصل في نفس اللغة . وان صحَّ ان بين الكلمة اليونانية والعربية مشابهة في اللفظ والمعنى فما هذه المشابهة اكثر مما هو بين الكلمة العربية والاصل الذي

اشتقت منهُ ولا احتمال اخذ العرب لها من اليونانية ارجح من اخذ اليونانية لها من العرب ولا سيما اذا كانت مادة الكلمة موجودة في العربية واردة بمعان كثيرة

وهناك أحتمال اقرب الى الصواب هو اشتراك اللغتين في اللفظ للمعنى نفسهِ فان اللغات كالحيوانات قد تفرعت من اصول قليلة وقد بقيت بعض الكلمات متشابهة في لغتين او اكثر . من ذلك كلمة « ارث » في الانجليزية فهي تشبه ارض العربية فهل يجوز لنا ان نقول ان العرب اخذوها من الانجليزية او ان الانجليز اخذوها من العربية وهل يوجد قوم يطأون الارض بارجلهم ولا يسمونها باسم في لغتهم بل يأخذونها من لغة اخرى بعيدة عنهم . واما اذا قلنا ان اللغات في الاصل كانت واحدة فلما تنوعت بقيت كلمات بين طائفة منها مشتركة فلا تبقى غرابة في اشتراك لغتين او اكثر في بعض الالفاظ للدلالة على معنى واحد

والحق انَّا اذا وجدنا كلمة في العربية لها نظير في لغة اخرى في نفس المعنى لا يجب ان نتسرع فنبتّ في ان العرب اخذوها من تلك اللغة بل هناك احتمالات ثلاثة الاول ان يكون العرب قد اخذوها من غيرهم ودليل ذلك الاَّ تكون لها مشتقات في نفس اللغة قبل اختلاط العرب بذلك الغير او تكون التغيرات التي طرأت عليها بالتعريب موافقة للتغيرات التي حصلت لغيرها من المعربات . والثاني ان يكون اهل اللغة الاجنبية قد اخذوها من العربية ودليل ذلك نفس الدليل الاول بالنظر الى تلك اللغة . والثالث ان تكون الكلمة باقية على اشتراكها بين اللغتين بعد تفرعهما من اللغة الاصلية التي تفرعتا منها

وللفظة قريش معنى غير المعاني التي ذكرها حضرة الاستاذ كلدة هو الطعن كما صرحت بهِ امهات اللغة وهذا المعنى اقرب من غيرهِ لتسمية القبيلة باسم قريش فان العرب يفتخرون بهِ لدلالتهِ على قوتهم وشجاعتهم يوم الكرّ والفرّ فلا يبعد ان تكون قريش قد سمَّت نفسها بهِ او سمَّاهم غيرهم بهِ مدحاً لهم ويكون التصغير للمبالغة في المعنى على حد قول القائل « دويهية تصفرّ منها الانامل »

وقد نقل الاستاذ كلدة عن بعضهم عن الزبير بن بكار بسندهِ عن ابن عباس تسميتهم بقريش مصغر قرش اسم دابة في البحر تخافها دوابه كلها وقيل انها سيدة الدواب اذا دنت وقفت الدواب واذا مشت مشت. وقال صاحب لسان العرب والقرش دابة تكون في البحر الملح عن كراع وقريش دابة في البحر لا تدع دابة الاَّ اكلتها فجميع الدواب تخافها الى ان قال قيل سمّوا بقريش مشتق من الدابة التي ذكرناها

التي تخافها جميع الدواب وفي حديث ابن عباس في ذكر قريش قال هي دابة تسكن البحر تأكل دوابه قال الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحر بها سُمّيت قريش قريشا

والبيت جدير بالاستشهاد فانهُ على غالب الظن من شعر الجاهلية. واهلها لقرب زمانهم اعرف بوجه تسمية قريش قريشا غير اني لا ارجح بناء البيت على الخرافة كوجود دابة في البحر تأكل جميع الدواب فيهِ فتخافها هـذه ولاسيما وجودها في البحر الاحمر الذي تتصل بهِ بلاد العرب فاستبعد ان تكون في البحر الاحمر دابة على الصفة المذكورة وعلى فرض وجودها فيهِ استبعد ان تسمى قبيلة خاصة من بين القبائل التي تسكن البر باسم هذه الدابة ولا يبعد ان يكون الذين قالوا بوجود هذه الدابة وتسمية قريش باسمها هم المتأخرون من علماء اللغة مستندين على ما فهموهُ من ظاهر البيت المذكور مع ان البيت لا يدل على وجود دابة في البحر على هذه الصفة بل كل مدلولهِ هو ان قريش هي التي تسكن البحر وقد سميت بها القبيلة المشهورة

وارى من الجائز ان يكون المقصود من قريش الاولى هو الجماعة التي تكسب المال او تجمعهُ من القرش بمعنى الكسب او الجمع والمقصود من البحر ساحلهُ كانهُ يقول الجماعة الكاسبة للمال او الجامعة لهُ هي التي تسكن البحر لان هؤلاء يكسبونهُ او يجمعونهُ بضربهم في البلاد ابتغاء الرزق ويكونون اهل تجارة لا اصحاب ضرع وزرع وقد سميت قبيلة قريش باسمهم لانها انفصلت عنهم مفضلة السكنى في البر على البحر او لانها تشبههم في السعي وراء كسب المال وجمعهِ. قال صاحب اللسان «وقيل سميت بذلك لتجرها وتكسبها وضربها في البلاد»

***

واما الخليفة فلا يجوز الحكم بكونها مأخوذة من coryphaios اليونانية بمعنى اعلى الرأس وقمة الجبل وذروة المثلث وفي المجاز اقصى الشيء ومعتلاهُ والسلطة القصوى او العظمى والرئيس الذي يتولى ادارة المراقص والاغاني في المواسم الدينية ورئيس المغنين في المآسي والاضاحيك كما زعم الاستاذ كلدة لمجرد التشابه بين اكثر حروف الكلمتين او لما ورد في كتاب الاوائل لابي منذر هشام الكلبي «كان الخليفة في انف الدهر يتولى تدبير العجّ والثج في الحج ويدير حركة الرقص في ايام افراحهم ومحافل اعيادهم ثم نقل الى من بيدهِ السلطة العليا او يحاول ان تكون لهُ السلطة العظمى»

كيف ومادة خلف باعتراف الاستاذ نفسه عربية كثيرة المشتقات ومنها الخليفة والخليف واذا صح ما رواهُ صاحب كتاب الاوائل فكل ما فيهِ ان الخليفة كان في سالف الدهر يطلق على من يتولى امور الحج ويدير حركة الرقص في الافراح والاعياد . واطلاق الخليفة على هذا يفهمنا ان متقلد هذه الرئاسة كان يأخذها ممن كان يتولاها قبلهُ فكان يخلفهُ فيها فقد جاء خَلَفَ فلان فلاناً اذا كان خليفتهُ وخلفهُ خلفاً صار مكانهُ وخلفهُ اذا جاء بعدهُ قال صاحب اللسان نقلاً عن ابي الحسن الاخفش للفعل معنيان خلفتهُ خلفاً كنت بعدهُ خَلَفاً منهُ وبدلاً وخلفتهُ خلفاً جئت بعدهُ واسم الفاعل من الاول خليفة وخليف ومن الثاني خالفة وخالف. وقال والخليفة الذي يُستخلف ممن قبلهُ والجمع خلائف جاءوا بهِ على الاصل وهو الخليف والجمع خلفاء واما سيبويه فقال خليفة وخلفاء كسروهُ تكسير فعيل لانهُ لا يكون الا للمذكر هذا نقلهُ ابن سيده وقال غيرهُ فعيلة بالهاء لا يجمع على فعلاء قال ابن سيده واما خلائف فعلى لفظ خليفة ولم يعرف خليف وانشد ابو حاتم لاوس ابن حجر

ان من الحيّ موجوداً خليفتهُ وما خليف ابي وهب بموجود

فكان دليلاً على مجيء خليف كخليفة وهما من سدّا مسدّ من قبلهما واما خالف وخالفة فهما من جاءا بعد مَن تقدمهما . وجواب ابي بكر في حديث ابن عباس مبني على التواضع فانهُ ما اراد ان يقول عن نفسهِ انهُ قام مقام النبي صلعم وسدّ مسدّهُ فقال انا الخالفة بعدهُ اي الآتي بعدهُ ومما يدل على ان الخليفة هو الذي يقوم مقام من تقدمهُ اضافتهُ اليهِ فيقال خليفة فلان وقد يؤنث باعتبار اللفظ وانشد الفراء « وانت خليفة ولدتهُ اخرى » وهذا لا يضر بكون المقصود من الخليفة الذكر

وقال صاحب المصباح خلفت فلاناً على اهلهِ وماله خلافة صرت خليفتهُ وخلفتهُ جئت بعدهُ واستخلفتهُ جعلتهُ خليفة فخليفة يكون بمعنى فاعل وبمعنى مفعول واما الخليفة بمعنى السلطان الاعظم فيجوز ان يكون فاعلاً لانهُ خلف من قبلهُ اي جاء بعدهُ ويجوز ان يكون مفعولاً لان الله تعالى جعلهُ خليفة او لانهُ جاء بهِ بعد غيرهِ كما قال تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الارض . والخليفة اصلهُ خليف بغير هاء لانهُ بمعنى الفاعل والهاء مبالغة مثل علاّمة ونسّابة ويكون وصفاً للرجل خاصة ومنهم من يجمعهُ باعتبار الاصل فيقول الخلفاء مثل شريف وشرفاء وهذا الجمع مذكر فيقال ثلاثة خلفاء ومنهم من يجمع باعتبار اللفظ فيقول الخلائف ويجوز تذكير

العدد وتأنيثهُ في هذا الجمع فيقال ثلاثة خلائف وثلاث خلائف وهما لغتان فصيحتان وهذا خليفة آخر بالتذكير وخليفة اخرى بالتأنيث والوجه الاول . انتهى

وهل يجوز بعد وجود اصل مطابق لفظاً ومعنى للخليفة ان نقول انها مأخوذة من اليونانية لمشابهة بين قسم من حروفها وحروف كلمة في تلك اللغة قريبة من معناها واذا سوغت هذه المشابهة ان نقول باخذ احداها عن الاخرى فلماذا لا نقول ان اليونانية مأخوذة من العربية بل لماذا لا نقول ان مشابهتهما في اللفظ والمعنى هي لاشتراك اللغتين في الاصل البعيد كما بينا في قريش

واني لاستغرب قول الاستاذ كلدة « ان اللغويين استغربوا في لفظ الخليفة ورودها بالهاء لمذكر عاقل » اذ لم ارَ استغراباً لهم فانهم لم يذهبوا ان الهاء هذه للتأنيث ليستغربوا وجودها في الكلمة وجعل اختلافهم في تأويل هذه الهاء دليلاً على استغرابهم ليس بصحيح فان الاستغراب شيء والاختلاف في التوجيه شيء آخر مثال ذلك ان العلماء يرون الجبال فلا يستغربون وجودها ولكنهم يختلفون في توجيهه فمن قائل انها اثر الزلازل وقائل انها اثر تقلص الارض بتبردها

فاللغويون يعرفون ان الهاء تكون للتأنيث والنقل والمبالغة واذ ليس في الخليفة محل وجيه للتأنيث اختلفوا في كونها للنقل من الوصفية الى الاسمية كالذبيحة والحقيقة او للمبالغة كالراوية والمنونة

وكذلك قولهُ انهم استغربوا جمعها على خلائف محتجاً بان فعيلة انما تجمع على فعائل اذا كانت للمؤنث لا للمذكر مثل كريمة كرائم وحقيقة حقائق (صرح علماء اللغة ان هاء حقيقة للنقل) فانت تعرف مما تقدم لنا ان اللغويين لم يستغربوا ورود الجمع للخليفة على الخلائف بل استغرب بعضهم ورودهُ على الخلفاء لا الخلائف حتى ظن ان خلفاء جمع خليف لا خليفة واما ورود خلائف فعلى الاصل فان كان مفرده بهاء من هذا الوزن يجمع على فعائل سواء كانت الهاء للتأنيث او للنقل او للمبالغة

وقال « ولما كانت خليفة قريبة من مادة خلف العربية وفيها معنى قيام الواحد مقام من تقدمهُ في العمر او السلطة او المنصب او المرتبة هان على معربي اللفظة ادعاؤهم بعربيتها كما ادعى قوم في هذه الازمان ان الافندي عربية وانها من الفند » وقولهُ هذا من الغرابة بمكان فان اشتقاق الافندي من الفند لا ينطبق على اصول الاشتقاق بخلاف الخليفة فان اشتقاقها من خلف واضح ومنطبق على الاصل

بغداد ١٠ شباط سنة ١٩٢٤ **جميل الزهاوي**

تذكرة الكاتب

كانت اللغة ولا تزال وسيلةً للتعبير عن الافكار تنشأ على حسب البيئة التي تنمو فيها ويلبسها المتكلم الثوب الذي ينطبق على مقتضى الحال سواء أكان من جهة النطق ام من جهة استعمال المفردات والتراكيب . ولا يخفى ان للغة قيوداً وروابط يجب ان يأخذ بها المتكلم لايصال المعنى الى ذهن السامع والاَّ لعبت الفوضى بالاوضاع وأصبحت اللغة مجموعة مفردات لا ضابط لها

واللغة العربية في عصرنا الحاضر أحوج اللغات الى القيود التي تحفظ جمال اسلوبها . فلغات اهل العجمة خاضعة لسيطرة مجامع تنظر في شأنها وتسير بها على مقتضيات روح الاجتماع . وهذه المجامع تنحت المفردات التي لا غناء عنها للتعبير عمَّا يجدُّ من الاختراعات والمبتكرات . اما اللغة العربية فمحرومة ذلك فلا مندوحة لها عن التقيد بالقيود التي وضعها الائمة للاحتفاظ بها الى ان يقيّض لها الله مجمعاً يهيمن عليها ويتولى امرها

واذا علمت ذلك ادركت ان الحاجة كبيرة الى الرجوع الى كتب اللغة والاعتماد على اساليب البلغاء لتقليدهم واقتباس تراكيبهم . وليس المراد من ذلك ان نضيّق سبيل اللغة وننبذ ماهو ضروري لنموها من استعمال المعربات والاوضاع الدالّة على المعاني الحديثة بل المراد هو الاحتفاظ باللغة على وجه يضمن بقاء رونقها ويقصي عنها عوامل البدعة والفوضى . فاذا القينا الحبل على الغارب وارخينا العنان لكل كويتب فكيف تصان اللغة من اقلام العابثين ؟ وانت تعلم ان العربية منتشرة في انحاء كثيرة من العالم كشبه جزيرة العرب والعراق وما بين النهرين والشرق الادنى ومصر وما يليها من سواحل افريقيا الشمالية . فضلاً عن ان للشعوب العربية جاليات قدهبطت بلاد الافرنجة والعالم الجديد فنشأ فيها نفر من الكتّاب اذا أُرخي لهم العنان فقل على اللغة السلام . واذا فسحنا المجال لفوضى الكتابة ولم نقيّد القوم بوجوب نهج الاسلوب القويم لم نؤمَنْ على اللغة ان تستباح حرمتها وتعبث بها يد الفناء . فتصاب عند القوم بما اصيبت بهِ في مالطة مما لا يحتاج الى الاسهاب

وليس المراد مما تقدم تحريم الكتابة على اسلوب ينطبق على روح العصر بل التدقيق في المحافظة على قواعد الفصاحة والبلاغة

واننا وايم الحق لابعد الناس عن القول بوجوب بعث المفردات المماتة لاننا على

مذهب صفي الدين الحلي الذي قال

انما الحيزبون والدرديس والطخا والنقاخ والعلطميس
لغة تنفر المسامع منها حين تروى وتشمئز النفوس
درست تلكم اللغات واضحت لغة القوم ما يقول الرئيس

اجل . اننا لسنا من انصار المذهب القديم بل من القائلين بتقويم عوج اللغة وتطهيرها بالعدول بها عما فيهِ خروج على قواعدها الى ما هو مجمع عليهِ عند ائمة البلاغة والفصاحة . كأَن نعدل عن قولنا « احنى رأسهُ » مثلاً الى حنى رأسهُ . وعن « افسح لهُ المجال » الى فسح لهُ المجال . وعن « اوَّاه » — للتفجع — الى آه . وقس على ذلك ما تضيق دونهُ الصفات . وليت شعري اي ضرّ يُخشى منهُ على اللغة اذا نحن اخذنا بالفصيح المشهور دون العامي المهجور ؟ وهل في قولنا ان ثمة الظرفية لا يجوز استعمالها بدلاً من « ثمت » العطفية خطر على اللغة ورجوع بها الى الوراء ؟ وهل في قولنا « منفعة كبيرة » لمناهج الكتابة بدلاً من « منفعة كبرى » قتلٌ للغة وتضييق

واذا تبيَّنت ذلك علمت ان العمل الشاق الذي قام بهِ حضرة الصديق الكاتب الالمعي اسعد افندي داغر بوضعهِ « تذكرة الكاتب » لهو عمل يشكر عليهِ . فقد حاول ان يعيد الى اللغة جمال رونقها بهداية الكتّاب الى الاساليب العربية الفصحى وتطهير اللغة من المفردات والتراكيب التي قد تطرَّقت اليها على اقلام المتطفلين . وقد تصفحنا هذا الكتاب فرأينا فيهِ ما يحيي ميت الرجاء بهذة اللغة البائسة التي عبث بها اصاغر الكتّاب . وقد نحا اسعد افندي داغر منحى المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي في كلامهِ على لغة الجرائد فاورد طائفة من المفردات والتراكيب التي ليست في شيء من الفصاحة وذكر ما يقابلها من الفصيح . ومؤلف هذه التذكرة عالم لغويّ وقف على اسرار اللغة واشتهر بانهُ من انصارها الذين يذودون عن حياضها . فياليت وزارة المعارف تقدر كتابهُ حق قدرهِ وتضيفهُ الى برنامج الدروس التي يتلقاها طلبة المعاهد العلمية فهي ان فعلت ذلك احسنت الى اللغة . وقد كان بودّنا ان نعدد جميع حسنات الكتاب ولكن سبقنا الى ذلك الصحف والمجلات العربية في هذا القطر وسائر الاقطار التي يتكلم اهلها العربية وفي ذلك غنية عن الاسهاب

فالى المؤلف نزف شكر الكتّاب كافة على مؤلفهِ النفيس نفعنا الله بهِ وهو حسبنا ونعم الوكيل

سليم عبد الاحد

اللهجة المصرية
وأدوات الاستفهام

ليس من ينكر على اللهجة المصرية امتيازها برشاقة اللفظ واناقة الاسلوب وبلاغة التعبير . فلها في آذان سامعيها رنة الالحان وفي نفوسهم فعل بنت الحان . وللناطقين بها — حتى الاميين منهم — براعة فائقة وتفنن غريب في رفع الصوت وخفضهِ ومدهِ وقصرهِ وارسالهِ مطابقاً من كل وجه للمعنى الذي يرومون التعبير عنهُ فيسهلون على السامع فهم مرادهم ويستغنون بنبرات الصوت البديعة عن اشارات الايدي التي كثيراً ما يتكلفها المتكلمون مستعينين بايديهم على تأدية ما تعجز السنتهم عنهُ

واللهجة المصرية من حيث صحة التركيب تعد من أقرب اللهجات العامية الى العربية الفصحى . ولكنها تخالفها في استعمال ادوات الاستفهام وهذا ما اردت توجيه الالتفات اليهِ في هذه العجالة

فلا يخفى ان ادوات الاستفهام — اسماء كانت ام حروفاً — لها في اللغة العربية صدر الكلام . فلا يتخطاها العامل الى ما بعدها ولا الى ما قبلها . ولا يعمل في احدها العامل المتقدم عليها الاّ اذا كان مضافاً او حرف جر . وذلك لشدة اتصالها بهما اذ انها تصير بكل منهما كالكلمة الواحدة فلا تنقطع معهما عن صدارتها

وهذه القاعدة مرعية الاجراء في سائر اللغات (١) وجميع اللهجات العربية ما عدا اللهجة المصرية كما تقدم الكلام

ولست ادري ما ذنب اداة الاستفهام عند المتكلم باللهجة المصرية حتى يحطها عن مرتبتها في صدر الجملة ويزحلقها الى آخرها ؟ على ان هذا الاستعمال — مع مخالفتهِ لقواعد اللغة — لا تلبث الاذن بعد تكرار سماعها لهُ ان تستعذبهُ وتستلذهُ فيقع فيها احسن موقع ومن امثلة ورودهِ في الفصيح ما يأتي : —

اولاً : بيت شعر مصنوع للمعاياة في الاعراب وهو : —

« بثينة شأنها سلبت فؤادي بلا ذنب اتيت بهِ سلا ما »

اي سلا بثينة ما شأنها . وهو مما لا يؤبه لهُ ولا يلتفت اليهِ

(١) الا اللغة التركية

ومثلهُ قول الآخر : —

«قالت لترب معها منكرةً لوقفتي هذا الذي اراهُ مَنْ
قالت فتىً متيَّمٌ يشكو الهوى قالت بمن قالت بمن قالت بمن»

والشاهد كلمة « مَنْ » في آخر عجز البيت الاول

ثانياً : قول ابن الفارض في صدر مطلع قصيدتهِ الذالية المشهورة : —

« صد حمى ظمإي لماك لماذا »

ثالثاً : ما اوردهُ الحريري في درة الغواص في كلامهِ على المناظرة بين ابي الحسن الكسائي وابي محمد اليزيدي وقول الثاني للاول « اذا كان ماذا » وزاد عليهِ الخفاجي في شرح الدرة كلاماً طويلاً لا محل لاستيفائهِ هنا

رابعاً : قول عائشة زوجة النبي (صلعم) لعبيد بن ابي سلمة لما لقيها وقال لها قتل عثمان وبقوا ثمانياً فقالت لهُ « ثم صنعوا ماذا »

هذا ما علق بالذاكرة . ولعل في محفوظ بعض الادباء امثلة اخرى فيتفضل بها تتمة للفائدة

اسعد خليل داغر

صحة اخبار التوراة

بعث الينا العلامة العراقي كلدة بقطعة من جريدة انكليزية فيها ما خلاصتهُ

كتب الاستاذ سايس اشهر الباحثين الآن في علم الآثار الاشورية ان الموقف الذي وقفهُ بعض المرتابين في صحة اخبار التوراة والانجيل تظهر عليهِ الآن دلائل الجهل او قلة المعرفة فان كبار العلماءِ رجعوا في كثير من آرائهم الى ما سمي بالآراءِ التقليدية وبنوع خاص الى صحة ما في الكتاب من الاخبار التاريخية . فان البحث الاركيولوجي المبني على النقب العلمي نقض نتائج الانتقادات النظرية القديمة ولا نبالغ اذا قلنا ان المكتشفات البديعة في السنوات الثلاثين الاخيرة ناقضت الاقوال التي قال بها اناس بنوا أحكامهم على امور ظنيَّة وايدت صحة اخبار الكتاب المقدس . فان قِدَم استعمال الكتابة في الشرق الادنى وسمو العمران الذي كان منتشراً فيهِ في عهد ابرهيم وموسى ودقة الاخبار البابلية وما فيها من التفصيل كل هذا قد قامت الادلة على ثبوتهِ . فتمَّ بذلك انتقاض ما كان يُنتقد بهِ على تاريخ العهد القديم كما نقض ما كان ينتقد بهِ على تاريخ اليونان . وكل اكتشاف جديد يزيد ذلك تأكيداً

باب الزراعة

نظام الاباعد واداراتها

(تابع ما قبله)

المدير الزراعي — ومن ثم ينبغي على المدير الزراعي أن يكون زراعياً اقتصادياً على معرفة تامة بطلبات الاسواق المتنوعة والمناطق المختلفة وأحوالها وان يكون على اتصال مستمر بمعامل المحاصيل الزراعية ليكوّن بمقتضى ذلك بروجرام زراعته لكل موسم بالجري على الاصول الزراعية الحديثة والمبادىء الاقتصادية الصحيحة للحصول من الارض على اكبر محصول ممكن دون انحطاط خصبها وبغير الالتجاء الى تبويرها كثيراً او زمناً طويلاً عقب كل زرعة كما كان الحال في الماضي (لان تبويرها هكذا قد لا يكافأ في الريع فضلاً عن استمرار ما هو واجب الاداء عليها من ايجارها او فوايظ ثمنها وضريبتها الاميرية ومرتبات العمال) فيزرع فيها بحسب معدنها وحالتها من المزروعات المفيدة المستحسنة ما يراه أكثر رواجاً من غيره لكثرة طلبه وسهولة تصريفه بأثمان طيبة. وقد لا يخفى ان التشكيلات الزراعية قد اتبعت بالارتقاء حركة الاختصاص الاقتصادي فكانت سبباً لتسهيل تقدمه كما كان هو سبباً لزيادة اتساعها بالتطبيق النسبي بين القوى البشرية والارض والآلات وادوات العمل اللازمة. اما تقسيم العمل فهو عبارة عن تقسيم كتلة الاعمال الى اجزاء توزع على قوى متعددة بالتبادل بين فروعه وهذه الفروع اذا ما اجتمعت شملتها التجارة العامة. ولما كانت المنافسة التجارية هي التي تربط اسعار البيع فيجب احتساب الربح من جهة ثمن المتحصل اعني الثمن الاصلي مضافاً اليه التكاليف وذلك الربح يكبر بتقليل النفقات بدون اضرار بنوع الصنف او المحصول (او العين نفسها طبعاً) لانهُ كما سبق القول ان كانت الزراعة فيما مضى عملية لا تعرف الآ طرقاً تقليدية محدودة فانها اضبحت رياضية علمية اقتصادية بفضل المنافسة التي تقضي بتخفيض الاسعار بتقليل التكاليف وبمضاعفة الانتاج وحسن استثمار الارض بالطرق العلمية العملية الحديثة. فاذا كان الايراد العمومي قد نما بفضل هذا الانقلاب

الحديث فان الايراد الصافي ينقص على الدوام ولاسيما اذا نزلت الاسعار من سنة لاخرى لان الزراعة الكثيفة او الجسيمة culture intensive تكثر المصاريف وتحتاج لاموال طائلة ولذلك لا يجوز الاقتناع بكثرة المحصول فقط فوفرتهُ لا تدلّ دائماً على عظم الايراد الصافي بعد احتساب المصاريف وانما ينبغي النظر الى أبعد من ذلك . فبعد تصنيع الانتاج يجب تتجير البيع وهذه المتاجرة ضرورية جداً في بلادنا حيث يندر التجار

واجبات المدير ومعلوماتهُ — وهنا اقتصر على ذكر ما يجب على المدير الزراعي معرفتهُ من المعلومات الضرورية وهي تنقسم الى نوعين : — النوع الاول منها وهو الخاص بالحقائق الطبيعية الاصلية (العلوم) التي ترشدهُ الى الموارد والعوامل التي اوجدتها لهُ الطبيعة . والنوع الثاني وهو الخاص بالحقائق العملية او الصناعية الخاصة بتركيب واستعمال هذه العوامل وطرق استخدامها بحسب قواعد الاقتصاد الزراعي وقوانينهِ — فالمدير الزراعي بصفتهِ المستثمر لقوى الارض لمصلحة اخوانهِ لا يجوز لهُ ان يجهل العادات البشرية ولا نظام الحكومة ووظيفة افرادها ولا نباتات الارض وحيواناتها . وبالجملة يلزمهُ معرفة احوال العالم الاقتصادي انهُ لا يوجد من العلوم ما لهُ مساس بمعرفة ذلك مثل الزراعة بينما ان الاقتصاد الزراعي هو فرع من العلوم الزراعية يبحث في العوامل المختلفة لموارد المزارع وعلاقتها بعضها ببعض او بالنسبة للاشخاص وعن طريقة استخدامها وتنظيمها لضمان اعظم نجاح ممكن للمزرعة وبالجملة هو عبارة عن علم ونظام وادارة الزراعة وحسن استثمارها او علم تطبيق الاقتصاد السياسي على الزراعة او هو علم العلوم الزراعية — اذ يرجع اليهِ في استخلاصها وتطبيقها جميعها لضمان اكبر كسب ممكن . فبهِ يدرك معنى المحسوس من الملموس والجزئي من الكلي والنظري من العملي وخلاصة القول أنهُ هو الذي يرشد المزارع الى تقدير قيمة الاشياء والعوامل بحسب الظروف والاحوال والى توقع عواقبها او نتائجها

المراقبة او التفتيش — متى تمّ تنظيم الابعادية على هذا النمط فمن السهل جدًّا ضمان حسن ادارتها وأسهل من ذلك مراقبة سير اعمالها على بعد لو توفّرت الشروط الآتية او ما يقرب منها بحسب اهميتها وحالة الزراعة نفسها : — (اولاً) ضرورة

ملاحظة تنفيذ الدورة الزراعية المرسومة لاصناف المزروعات المعينة بدون تعديل او تبديل فيها (ثانياً) ان تتوفر في المدير المحلي الامانة والكفاءة والاقدام على الاعمال وتقل اهمية وجود هذه الصفة الاخيرة فيهِ لو تعاقب التفتيش عليهِ في كل اسبوع او اقل بنسبة اهمية اعمال الابعادية للاطمئنان عليها والتحقق من حسن ادارتها الداخلية وفي هذه الحالة يكفى ان يكون المدير المحلي رجلاً عملياً طيباً ونشيطاً قادراً على تنفيذ التعليمات التي تعطى لهُ من الادارة العامة (من المالك او المفتش العام)

(ثالثاً) تكليف المدير المحلي بتقديم حسابات شهرية من واقع دفاتر الزراعة التي في ادارتهِ وبارسال تقارير متقاربة عن حالة المحصولات والمزروعات والمنقولات المختلفة وعن حركة الاشغال وسير الاعمال المتنوعة ونتائجها وما تمّ فيها من الاجراءات في لمدة الماضية ثم ملخص ما سيكون في المدة القابلة من الاعمال والاشغال والايرادات والمحصولات والنفقات والطلبات والحاجيات بوجه التقريب

(رابعاً) تكليف المدير المحلي ايضاً (اذا لزم الحال) بارسال نشرة يومية (جورنال) او نصف اسبوعية او اسبوعية من نموذج مرسوم ببيان ما يلزم معرفتهُ من المسائل وهذه البيانات تختلف بتقارب مدة مرور المفتش او المراقب وبحسب تفاصيل النظام ولكن يلزم ان تراعى فيها السهولة والبساطة مع ايضاح المعلومات اللازمة . وعلى كل حال فان هذا الجورنال مهما اختلفت اشكالهُ في الوضع والبيان فانهُ يحتوي في الغالب على حركة النقدية من ايرادات ومصروفات وعملية الشغالة ونوع العمل ومقدارهِ وحركة المخازن والمحاصيل وعملية المواشي الخ ثم ملحوظات المدير المحلي عليها جميعها وعلى حالة الزراعة والمزروعات على العموم

(خامساً) ضرورة حضور المموّل البعيد (او المفتش او المراقب العام) مرات متقاربة الى تفتيش في الابعادية وتفقد احوالها ومراجعة اعمالها على حساباتها وتحريراتها ومراقبة حركتها وسير اشغالها بوجه عام

وعندي انّ اشراك المدير المحلي في الكسب باعطائهِ حصة بسيطة في صافي الارباح علاوة على مرتبهِ لما ينشطهُ ويشجعهُ على العمل الصالح وبذلك يستريح بال المموّل البعيد على مزرعتهِ بضمان حسن ادارتها الداخلية

محمد زكي بك الفار

اقتصادي وزراعي بعزبته ببطرة غربية

زراعة القطن في بلاد الشام

كثر تحدث الناس في هذه الايام بالقطن وضرورة زراعتهِ في بلاد الشام وعلت الضجة حولهُ لاسيما من قبل رجال المفوضية العليا الفرنسية الذين ما فتئوا يفتشون عما اذا كان من المستطاع جعل هذه البلاد تنتج جزءاً من الاقطان الضرورية لمعامل فرنسا في كل سنة بعد ارجاع كليكيا الى الترك وفقد الأمل من الانتفاع بمحاصيل القطن الناتجة في تلك المنطقة

ولما كان هذا البحث يهم اهالي البلاد بقدر ما يهم رجال الحكومة المنتدبة فقد اتيت بهذه العجالة مبيناً بعض ما اختبرتهُ منذ بضع سنين في امكان زراعة القطن وفائدة هذه الزراعة داخل سوريا

عند ما يفكر الزارع السوري بطرق الاستفادة من زرع القطن يجب ان يتبادر الى ذهنهِ ما اذا كان اقليم البلاد وتربتها صالحين لنمو هذا النبات نمواً طبيعياً ام لا. ثم بعدها يحول ذهنهُ الى الشروط الأقتصادية اذ هي اهم اساس يجب ان ترتكز عليهِ مساعي الانسان

الأقليم — ثلاثة امور يجب على الزارع ان يفتكر فيها وهي الحرارة ومقدار الأمطار السنوية ووجود ماء الري او فقدانهُ

الحرارة : لكي تكون زراعة القطن ناجحة يجب ان يجد هذا النبات خلال الاشهر التي يعيش فيها حرارة كافية وان لا تتحول درجات الحرارة اثناء هذه المدة تحولاً فجائياً كأن تهبط هبوطاً زائداً ثم تعود الى الدرجة الطبيعية بسرعة

فبلاد الشام تحتوي بضعة اقاليم زراعية تتفاوت الحرارة فيها تفاوتاً محسوساً. وهذه الاقاليم هي اقليم الغور والسواحل والسهول والجبال والصحراء. (١) ففي جميع هذه الاقاليم تزداد الحرارة بتدريج خلال الشهور الأولى من حياة القطن كما انها (الحرارة) لا تتحول تحولاً فجائياً طيلة مدة حياتهِ. لكن مجموع الحرارة السنوي ليس واحداً في كل هذه الاقاليم. بل هو في بعضها لا يفي بحاجة القطن الى الحرارة

فغور الاردن الممتد من بحيرة الحولة حتى بحر لوط حرارتهُ زائدة تكفي لنمو جميع الاقطان المعروفة. وقد دلتنا جداول رصد الجو على ان مجموع الحرارة في

(١) ذكرنا اهم خصائص كل من هذه الاقاليم في كتاب «الزراعة العملية الحديثة» المطبوع بدمشق

اكثر مناطقهِ لا تقل عنها في القاهرة ومثالهُ ان متوسط الحرارة السنوي في طبريا خلال بضع سنوات لم ينقص عن ٢١٫٦٠ درجة (القاهرة ٢١٫٥٠ درجة) . هذا وقد جُربت زراعة بعض الاقطان المصرية في مجدل طبريا والبطيحة كما جربت في بيسان فكانت الحرارة كافية لتفتح جميع الثمار (اللوز) واجتناء محصول يفوق اكبر محصول يُجنى في مصر

وسواحل بلاد الشام ايضاً فيها من الحرارة ما يكفي لتفتح لوزات القطن تماماً . يستدل على ذلك من تتبع الجداول المحتوية على نتيجة رصد الاحداث الجوية خلال بضع سنوات وهي تتلخص بالدرجات المتوسطة السنوية الآتية :

يافا	٢٠٫٤٠	درجة
حيفا	٢٠٫٥٠	«
بيروت	٢٠٫٥٠	«

واذا فحصنا متوسط الحرارة في كل شهر ثم دققنا في الجداول اليومية ايضاً لنرى اعلى درجة وادناها في كل يوم من ايام حياة القطن نجد انهُ لم يحصل خلال كل السنين التي رُصدت الاحداث الجوية فيها تبدلات فجائية تمنع نمو هذا النبات نمواً طبيعياً. هذا ولما كانت التجارب اوثق ما يبنى عليهِ الحكم فالدليل الاكبر على امكان نجاحهِ في السواحل كونهُ يُزرع سنوياً ولو بمساحات قليلة في طرابلس الشام وجبلة واللاذقية وعرزوز وكونهُ كان يزرع في سهل عكا وغيرهِ

واذا انتقلنا من السواحل الى السهول نجد ان بعضاً منها فيهِ من الحرارة ما يكفي لنجاح القطن نجاحاً تاماً مثل مرج ابن عامر وسهل الغاب شمالي حماة وسهل العمق حوالي بحيرة انطاكية الخ . والدليل على ذلك التجاربُ الحديثة في مرج ابن عامر وجداول رصد الجو في بعض قرى هذا السهل خلال بضع سنين ثم كون القطن يُزرع اليوم في قلعة سيجر الواقعة بالقرب من سهل الغاب وفي بعض قرى واقعة حوالي سهل العمق . وهذه السهول لا تعلو كثيراً عن سطح البحر فاعلاها وهو سهل الغاب يبلغ ارتفاعهُ ١٥٠ متراً الى ٢٠٠ متر حسب مواقعهِ . اما بعض السهول الشرقية مثل حوران والجولان وغيرهما مما يعلو نحو ٧٠٠ متر عن سطح البحر او اكثر فنحن نشك فيما اذا كان من المستطاع زرع الاقطان المصرية فيها بنجاح اقتصادياً لكنهُ ليس بامكاننا البت في هذا الامر لعدم وجود جداول لرصد الجويات في هذه

المناطق ولعدم قيام احد بتجربة زراعة القطن فيها . وفي السنة الماضية جرب بعض زراع المرج الواقع شرقي غوطة دمشق زراعة بعض الانواع المصرية في قرية لهُ على الشاطىء الغربي من بحيرة العتيبة (نحو ٦٥٠ متراً فوق سطح البحر) فنجحت اي تفتح اكثر اللوز ونتج في الهكتار ٥٠٠ كيلو غرام من الشعر وهو محصول لا يُستهان بهِ

والمناطق التي تدخل في اقليم الجبال جميعها غير صالحة لزراعة القطن لقلة الحرارة فيها مثل قلمون الادنى والاعلى وسهل الزبداني وقرى لبنان المرتفعة الخ . اما اقليم الصحراء فمن العبث البحث فيهِ لعدم امكان الاستفادة من اراضيهِ بسبب قلة الامطار وفقد مياه الري

الامطار — ربما استغرب الزارع المصري بحثنا في الامطار ولزومها للقطن . لكنهُ لو علم ان جميع محاصيل القطن في سهل اطنه وطرسوس التي قدرت سنة ١٩١٣ بنحو ١٢٠٠٠٠ بالة ثم المحاصيل القليلة التي تنتج في ادلب ودانه وحارم غربيّ حلب ومقدارها في تلك السنة نحو ١٣٠٠٠٠ بالة (البالة المتوسطة ١٠٠ كيلو غرام تقريباً) قلت لو علم انها جميعاً من الاقطان التي تزرع في البعل من الارض لزال استغرابهُ. فكثير من انواع القطن (لاسيما قطن ادلب وقطن « برلي » الذي يزرع في اطنه وطرسوس) تجود بلا ري اذا تيسرت لها الشروط الآتية وهي : اولا هطل مقدار من المطر يبلغ ارتفاعهُ في السنة ٥٠٠ مليمتر او اكثر : ثانياً وهو اهم شرط ان يهطل خلال شهور الربيع نحو خمس هذا المقدار مما يسهل إنبات بزور القطن المبذورة ونموها حتى تكبر جذورها وتنفذ في التراب الى غور تجد فيهِ امطار الشتاء المدَّخرة : ثالثاً ان يهطل في الصيف قليل من المطر يرطب الارض وان يكثر الندى وتهب ريح رطبة في الربيع والصيف : رابعاً ان يكون في التراب مقدار كاف من المواد الطينية لكي تضبط ماء المطر ولا تدعهُ يضيع على شكل بخار او تدعهُ يغور الى حيث لا تنالهُ جذور النبات المزروع

اذا اجلنا النظر في مناطق بلاد الشام الزراعية نجد ان معظمها لا يحتوي على هذه الشروط باجمعها . ففي غور الاردن مثلاً يبلغ ارتفاع مجموع الامطار في كثير من السنين ٥٠٠ مليمتر لكنهُ يندر هطل مقدار كاف في الربيع واوائل الصيف ولهذا لا يستطاع هنالك زرع القطن بلا ري . أما في السهول الداخلية (الغوطة ،

شرقي ، العاصي ، حوران ، البلقاء شرقي حلب) فلا مجموع الامطار السنوي ولا المقدار الذي يهطل في الربيع يكفيان لسد حاجة القطن الى الماء . وبالاختصار ليس في كل البلاد على ما خبرناهُ منطقة جامعة لكل الشروط التي ذكرناها سوى منطقة ادلب وحارم وحوالي انطاكية وهي منطقة واسعة يستطاع ان يجنى منها عشرة امثال ما يجنى اليوم لكنها ضيقة اذا قيست مع مجموع الاراضي الواسعة التي تسمح الحرارة فيها بزرع الاقطان

مصطفى الشهابي
مدير أملاك الدولة بدمشق
خريج مدرسة كرينيون الزراعية العليا

(لهُ تابع)

القطن وتجارة مصر الخارجية

كانت السنة الماضية من سنوات الرخاءِ في القطر المصري لان قيمة صادراتهِ زادت زيادة كبيرة على قيمة وارداتهِ حسب تقدير الجمارك المصرية فقد بلغت قيمة الصادرات ٥٨ ٣٨٧ ٣٢٧ جنيهاً وبلغت قيمة الواردات ٤٥ ٢٧٦ ٩٤١ جنيهاً ثم أصدر من الواردات ما ثمنهُ ١ ٤٦٦ ٦٦٠ جنيهاً فبقي من الواردات ما ثمنهُ ٤٣ ٨١٠ ٢٨١ أي ان القطر المصري اشترى لهُ من الذين يعاملونهُ في اوربا واميركا واسيا ما ثمنهُ ٤٣ ٨١٠ ٢٨١ جنيهاً وباعهم ما ثمنهُ ٥٨ ٣٨٧ ٣٢٧ جنيهاً ففاض معهُ من ثمن ما باعهُ ١٤ ٥٧٧ ٠٤٦ او أكثر من ١٤ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات . واذا فرضنا ان الجمارك المصرية تقلل في اسعار الواردات كما تقلل في اسعار الصاردات وان المصطافين خارج القطر المصري ينفقون الآن في السنة قدر ما ينفقهُ السياح الذين يردون الى القطر المصري وان ربا الدين الباقي على الحكومة المصرية لاوربا يبلغ مليونين من الجنيهات فقط لان جانباً كبيراً من سندات دينها اشتراهُ المصريون وان ربا الدين الباقي على المصريين للبنوك الاوربية يبلغ ستة ملايين من الجنيهات في السنة وطرحنا هذا وذلك من الفرق بين ثمن الصادرات والواردات المذكور فوق فيكون القطر قد خرج من السنة الماضية بربح يبلغ ستة ملايين ونصف مليون من الجنيهات . وزد على ذلك ان جانباً من الواردات ليس مما يستهلك بل هو مما تزيد ثروة القطر بهِ وهو ١٦٧ ٥٣٢ جنيهاً ثمن خشب للبناء و١٨٨ ١٩٩ ثمن سمنت للبناء و٠٤٥ ٨٦٣ ١ ثمن حديد وادوات حديد وصلب وآلات حديدية و٣٥٣ ٥٥

جنيهاً ثمن زجاج للشبابيك والمجموع ٣٧٩٢٩١٢ جنيهاً فاذا طرحت من قيمة الواردات المذكورة فوق او اضيفت الى صافي ربح القطر في السنة الماضية بلغ هذا الصافي اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات

واهم ما تهتم لهُ الدول الآن ان تجد اسواقاً لمتاجرها اي اناساً يشترون بضائعها . واذا راجعنا جداول الجمارك المصرية عن العام الماضي وجدنا ان البلدان المختلفة اشترت من صادراتنا ما نرى قيمتهُ في الجدول التالي

بريطانيا العظمى ومستعمراتها نحو	٢٨٣٠٠٠٠٠	جنيه
الولايات المتحدة الاميركية	٧٢٤٦٠٠٠	»
فرنسا ومستعمراتها	٦٨١٦٠٠٠	»
المانيا	٢٤٩٠٠٠٠	»
اليابان	١٩٥٦٠٠٠	»
سويسرا	١٨٦٢٠٠٠	»
اسبانيا	١٥٤٣٠٠٠	»
تشكوسلوفاكيا	٧٤٠٠٠٠	»

ومجموع ذلك ٥٠٩٥٣٠٠٠ اونحو ٥١ مليوناً من الجنيهات وسائر البلدان تشتري من صادراتنا ما ثمنهُ نحو سبعة ملايين فبريطانيا وحدها تشتري منا نحو نصف صادراتنا

وقد وضعنا في الجدول التالي اهم الصادرات التي صدرت في العام الماضي واثمانها بالجنيه المصري

القطن	٤٩٥١٦٣٦٩
بزرة القطن	٣٥٦٤٨٣١
سكّر	١٠٥٧٦٦٧
كسب بزر القطن	٧٠٤٩٨٩
البيض	٠٤٧٨٠٦١
زيت القطن	٤٣٥٧٨٦
السكائر	٣٦٦٩٤٨
البصل	٣٥٨٠٤٠
الرز	٢٢٥٣٩١

فبلغ ثمن القطن وبزرتهِ وزيتهِ وكسبهِ اكثر من ٥٤ مليون جنيه ولو اهتمت الحكومة المصرية بحماية القطن ولو باحتكارهِ لبلغ ثمنهُ مضاعف ذلك او لزاد خمسين في المائة على الاقل. ولا عبرة بما صدَر من الرز لانهُ ورد ما ثمنهُ ٦٩٦٨٣٢ وحسبُ القطر ان يستغلَّ من الرز ما يكفيهِ. ولا بما صدر من السجاير لان القطر اشترى تبغها معما اشتراهُ من الواردات فيبقى الاعتماد كلهُ على القطن

دود اللوز وخسارة القطن

في النشرات الفنية التي تصدرها وزارة الزراعة رسالة مسهبة في تقدير خسارة القطن بسبب الاصابة بديدان اللوز بقلم ابرهيم بشاره افندي مساعد اختصاصي بقسم الحشرات شرح فيها بحثاً دقيقاً اجراهُ في الجيزة سنة ١٩٢١ كانت نتيجتهُ ان الخسارة العمومية في الحقل الذي بحث فيهِ بلغت من ٣٠ الى ٣٥ في المائة من محصول القطن كلهِ هذا عدا الخسارة التي تصيب صنف التيلة فتقلل من قيمتها التجارية نظراً لاختلاط القطن السليم بالقطن المصاب والسكارتو وهذا الاخير وحدهُ بلغ نحو ١٠ في المائة من المحصول

وقد استوقف نظرنا امران الاول تدقيق حضرة الباحث في بحثهِ تدقيقاً علميًّا وفنيًّا قلما رأينا لهُ مثيلاً في مباحث كبار علماءِ الزراعة من الاوربيين والاميركيين. والثاني الخسارة الكبيرة التي اصابت محل التجربة لان ثلاثين في المائة من المحصول تبلغ اكثر من مليوني قنطار اذا فعلت دود اللوز في اطيان القطر كلهِ فعلهُ حيث جرى هذا البحث او نحو عشرين مليون جنيه. ولكن حصر البحث في حوض واحد او زراعة واحدة لا يفيد الفائدة المطلوبة فعندنا اطيان في القليوبية من معدن واحد لا تروى الاَّ من وابور على البحر الاعظم اصيب قطنها بدود اللوز في الصيف الماضي فبلغ محصول الفدان من زراعة أحد المزارعين نحو اربعة قناطير ومن زراعة مزارع آخر اقل من قنطار. ولما كانت هذه الاطيان تزرع من القطن العفيفي قبل مجيء دودة اللوز كان محصول الفدان يتراوح بين خمسة قناطير وسبعة فدود اللوز يفعل فعلا ذريعاً حيث يقع ويستدل من قلة المتوسط في السنين الاخيرة على ان مجموع ضررهِ لا يقل عن عشرين في المائة من محصول القطر كلهِ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة . ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ما نأكل وكيف يهضم

الخضراوات

ينطوي تحت لفظ « الخضراوات » انواع كثيرة من المآكل تختلف كثيراً في شكلها وتركيبها ولكنها تتفق في انها من اصل نباتي . فنحن نأكل مثلاً اوراق نبات الكرنب والخس واثمار الطماطم والخيار وحبوب الفاصوليا والبازلا وجذور الفجل والجزر وعروق السبانخ واوراقهُ وبصل البصل وثآليل البطاطس ثم نضيف اليها بعض الحبوب كالارز وندعو الجميع خضراوات

س . هل الخضراوات غير المطبوخة تتطلب من المعدة عملاً زائداً عن المعتاد لكي تهضم

ج . كلا . ففي اكثر الاحيان هضم الخضراوات غير المطبوخة يكون اسرع من هضمها مطبوخة . وقد يفهم البعض من هذا الجواب ان الخضراوات يجب ان تؤكل نيئة على الاطلاق وهذا مما لا نريدهُ . نعم للنيئة مزايا غذائية اهمها ما فيها من المواد الحيوية المعروفة بالفيتامين التي تقلُّ كثيراً متى طبخت والفيتامين كما هو معلوم الزم اللوازم للغذاء التام وهو يقي من داء الاسكربوط والبري بري . لكنَّ الخضراوات النيئة قد تكون ملوثة بالمكروبات فاذا اكلناها بلا طبخ استهدفنا لخطر هذه المكروبات وما تسببهُ من الامراض . والطبخ كما هو معروف يميتها . نعم ان في المعدة عصارة فيها مادة تقتل المكروب ولكنها لا تستطيع ان تفعل ذلك اذا كانت المكروبات قوية وكثيرة . فاذا اردنا ان نأكل بعض الخضراوات نيئاً فلنعنَ بغسلها جيداً

س . اصحيح ان السبانخ (الاسبانخ) افيد الخضراوات للدم ؟ ولماذا ؟

ج . اننا لا نأكل الخضراوات التي من قبيل السبانخ كالخس والهليون والكرنب

وغيرها لانها كثيرة المواد النشائية او الزلالية او الدهنية او لانها تولد في الجسم حرارة ونشاطاً بل لانها تحوي مادة لا تهضم في المعدة والامعاء تسمى سلولوس وهي المادة الخشبية في النباتات. فهذه المادة تمدد الامعاء وتسهل حركة محتوياتها. ولهذه الخضراوات ايضاً قيمة غذائية خاصة لما تحويهِ من الاملاح المعدنية والفيتامين كما ذكرنا

اما علاقة السبانخ بالدم فسببه ما في السبانخ من مركبات الحديد . فاذا قابلنا بين مختلف الخضراوات من حيث ما فيها من الحديد وجدنا السبانخ في مقدمتها . وزد على ذلك ان كل خلية من خلايا الجسم تحوي حديداً فهي محتاجة دائماً اليهِ. كذلك نرى ان الهموغلوبن (المادة التي تلون كريات الدم الحمراء) تحوي حديداً وحينما يقل مقدار الحديد في الجسم يقل مقدار الهموغلوبن في الدم فتنتج حالة مرضية تعرف بالانيميا او فقر الدم . واكثر الناس تعرضاً لهذا المرض الاولاد اذا لم يعتنَ اعتناءً خاصًّا باختيار طعامهم . لكن هذا لا يعني ان اكل السبانخ يشفي من فقر الدم متى حصل ولكنهُ يقي بعض الشيء من الوقوع فيهِ. اما الاطعمة الاخرى التي تماثل السبانخ من هذا القبيل فهي محّ البيض والفاصوليا والبازلا والعدس والزيتون والفاكهة بوجه عام

س . هل البطاطس اكثر الخضراوات غذاءً

ج . نعم فقيمة البطاطس الغذائية تعود اولاً الى ما فيهِ من النشاء والاملاح المعدنية كاملاح البوتاس والحديد

على ان تقشير البطاطس نيئاً يفقدهُ نحو عشرين في المائة مما فيهِ من الغذاءِ اذا نزع مع القشرة الخارجة جانب مما تحتها : ولذلك اصدرت الحكومة الالمانية امراً بمنع تقشير البطاطس على هذه الصورة وذلك عمل حكيم مفيد من وجهٍ علمي

وبعض الناس يمزجون اللبن (الحليب) بالبطاطس المهروس وذلك حسن لان البطاطس تنقصهُ المواد الزلالية والدهنية فتضاف اليهِ باضافة اللبن . ويزاد ما فيهِ من القوة على توليد الحرارة بقلوه

س . هل يقوم الارز مقام البطاطس ؟

ج . الارز والبطاطس طعامان مختلفان في اصلهما وتركيبهما . فالاول من الحبوب والثاني من الخضراوات . كذلك الجانب الاكبر من البطاطس ماء والجانب الاكبر من الارز مواد زلالية ونشائية ودهنية وفي الرطل منهُ ثلاثة اضعاف ما في رطل البطاطس من المواد الدهنية وثلاثة اضعاف من المواد الزلالية واربعة اضعاف

من المواد النشائية ويولد من الحرارة اربعة اضعاف ما يولده البطاطس ايضاً. لكن هنالك فرقاً كبيراً بينهما يجعل الاعتماد على احدهما وحده ضاراً وذلك لان الارز يولد مواد حامضة بعد تأكسده اما البطاطس فيولد مواد قلوية

البطاطس تنقصهُ المواد الزلالية ولذلك يجب اكلهُ مع اللحوم التي تكثر فيها المواد الزلالية وتولد بعد تأكسدها مواد حامضة تعدل المواد القلوية التي تتولد من تأكسد البطاطس . واذا اكلنا اللحم مع الارز بدلاً من البطاطس تزداد المواد الحامضة

كيف نعيش مائة عام

من الناس من يقول مع لبيد

ولقد سئمت من الحياة وطولها   وسؤال هذا الناس كيف لبيدُ

ومنهم من يجود بكل عزيز وغالٍ لكي يُمَدَّ لهُ في الاجل واكثر الناس من القبيل الثاني . وقد اطلعنا الآن على مقالة للدكتور جون هوبر الاميركي ارتأى فيها ان البلوغ الى سن المائة مقدور لاكثر الناس اذا عاشوا العيشة التي اشار بها واساسها الاعتدال في المأكل والمشرب والعمل والراحة . ويتلو الاعتدال في رأيهِ البشر والسرور فانهما يجعلان الانسان يتوق الى الحياة ويحبها وهذا التوق وهذه المحبة هما نصف الحياة . كذلك نرى ان الهم والغم يجعلان الانسان يبغض الحياة ويود التخلص منها وهذا يقرّب الاجل . ثم ذكر القواعد الآتية لاطالة العمر وهي معروفة ومشهورة ولكن ذكرها لا يخلو من فائدة

اولاً — استحمّ كل يوم في الصباح اذا كان ذلك في امكانك . تعوّد الحمام البارد في الصيف حتى لا يضرّ بك في الشتاء وليكن الحمام في غرفة دافئة

ثانياً — كُلْ على مهلٍ وامضغ طعامك جيداً . تناول الطعام ثلاث مرات في اليوم وانهض عن المائدة قبل ان تشبع ولا تأكل بين طعام وطعام . وخير الطعام اليومي ما كان فيهِ بيضتان وكثير من الخضر والفاكهة وقليل من اللحم . واشرب ست كؤوس ماء على الاقل كل ٢٤ ساعة

ثالثاً — اجلس في الشمس ما استطعت وتجنب الهواء الفاسد الرطب المشحون بالغبار

رابعاً — نمْ في فرشة مريحة ثماني ساعات على الاقل . وكلّ رجل متقدم في

السن وكل امرأة مهما تكن سنها يجب ان يستريح ساعة بعد طعام الغداء

خامساً — البس ثياباً واسعة خفيفة مدفئة ذات مسام

سادساً — احفظ قدميك دافئتين

سابعاً — لا تدخّن التبغ قبل الحادية والعشرين من عمرك وخير للنساء ان لا يدخنَّ على الاطلاق . ولا تشرب الخمر الاَّ حينما تضطر الى ذلك فما من احد يحتاج اليها سوى العجزة والشيوخ ويجب ان يعتدلوا حينئذٍ في شربها

ثامناً — ليقنع الشاب الاعزب بالعزوبة تزدد قوتهُ الجسدية والعقلية واذا استطاع فليتزوج في سن الخامسة والعشرين

تاسعاً — اطلب عملاً في الفضاء لان الهواء النقي اقوى مطهر في الطبيعة فيحفظ دمك نقيًّا ومتى كان الدم نقيًّا انتظم عمل جميع اعضاءِ الجسم . واذا كان عملك داخل المباني فروّض جسمك في الهواءِ الطلق . ولعلَّ المشي السريع من افضل انواع الرياضة البدنية

عاشراً — اعتنِ بتنظيف انفك وحلقك وفمك واسنانك ولثتك دائماً لان هذه الاعضاءِ مراكز يسهل وصول العدوى اليها وانتشارها منها الى سائر اعضاءِ الجسم

حادي عشر — ليفحصك الطبيب مرة على الاقل في السنة فحصاً دقيقاً لان بعض الامراض تكمن في الجسم اولاً فلا تعرف وجودها الاَّ بعد فحص الطبيب . واعلم ان الالم انذار بوجود خللٍ في جسمك فابحث عن سببهِ وازلهُ بالوسيلة الصالحة لازالتهِ

ثاني عشر — تعوَّد نوعاً من التسلية تسرُّ بهِ وتنصرف اليهِ عند انتهاء عملك فهذا يريح العقل والجسم ويعيد النشاط اليهما وخير هذه الانواع ما اشتغلت بهِ اليدان وكان في الهواءِ الطلق

يقول المثل الانكليزي « قوة السلسلة كقوة اضعف حلقاتها » . ولذلك يجب على كل احد ان يلاحظ مواطن الضعف في جسمهِ ويعنى بحفظها سليمة .وقد وجد الاطباء ان الاعضاء او الامراض التالية هي مواطن الضعف في اكثر الابدان وهي :—

الاسنان النخرة، اللثة ، اللوزتان والانف والحلق المصابان بالزكام، مرض الاذن الوسطى ، المرارة والزائدة الدودية

باب التقريظ والانتقاد

الصحائف

بقلم مي

كنا نغبط الاوربيين والاميركيين ونغار منهم لان نساءهم جارين رجالهم في كثير من المطالب ولا سيما في العلوم والفنون فنبغ منهنَّ المنشئات والشاعرات والمصورات والبارعات في علم الفلك وعلم النبات وعلم الحشرات وما اشبه من العلوم الرياضية والطبيعيَّة . ولم نجهل ان ذلك بدأ في اوربا منذ قرن من الزمان فقط اي بعد قرنين من ظهور نوابغ الرجال اما نحن فلم يستهل القرن العشرين حتى شرع بناتنا يناظرن ابناءنا ورأينا من نبوغهنَّ ما لا يفوقهُ نبوغ الابناءِ وحسبُنا دليلاً على ذلك منشئة هذه الصحائف فقد رأى قراءُ المقتطف فيما دبجهُ قلمها من مقالاتها التي نشرت فيهِ معاني جديدة وآراء سديدة واستنباطاً منطقيًّا من مقدمات قد لا ينتبه لها الاَّ كبار العقول التي اعتادت البحث العلمي والتفكير الفلسفي واطلعت على اساليب اكابر الكتَّاب ومشاهير الفلاسفة ودرراً لا يعثر عليها الاَّ غواص في بحر الحقائق . ذلك مع خلو من الابتذال وبُعْد عن التعقيد وحرْص على جواهر المعاني ولو لم ينطق بها عربي قبلها. هذا انشاءُ الآنسة مي وهذه هي المواضيع التي طرقتها والاساليب التي جرت عليها. قد تخالف المألوف احياناً واي نابغة لم يخالفهُ ويختط لنفسهِ طريقاً يسير فيهِ . وحسبها ان القراءَ تعشقوا ما يصوغهُ قلمها وتجود بهِ قريحتها لانهم رأوا فيهِ معاني مبتكرة صادرة من بديهة سامية واطلاع واسع كأنها تقول ما قالهُ دانونزيو الذي استشهدت بهِ في فاتحة الصحائف وهو « في وسعي ان المس النفوس الكبيرة فاسمو بها الى شاهق الاجواءِ حيث جلال العمل وبهاءُ الحلم يتلاقيان على ذروة واحدة » فتسابقت الصحف الى نشر ما تنشيءُ والمطابع الى جمعهِ في كتب ومن ذلك هذه الصحائف التي اصدرتها المطبعة السلفية بمصر فان بعضها نشر قبلاً في الصحف والمجلات وبعضها لم ينشر كوصفها رحلتها الاخيرة الى سورية وطائفة من الحكم افتتحت بها الصحائف وبلغت فيها اسمى درجات الحكمة كقولها « الثورة ككل جرأة في وقتها ومكانها عبقرية وانتصار وفي غير ذلك حماقة واندحار » وقولها

« قضبان النوافذ في السجن تنقلب اوتار قيثار لمن يعرف ان ينفث في الجماد حياة »

ونقول في الختام اننا تناولنا « الصفحات » لنكتب عنها بضعة اسطر فيما لدينا من الوقت الضيق فشغلتنا قراءتها عن الكتابة. وبعض ما قرأناهُ الآن قرأناهُ مرتين لما نشر في المقتطف وفي هذه المرة الثالثة زاد شغفنا بهِ واعجابنا بكاتبتهِ

مي
في سوريا ولبنان

هذا عنوان كتاب عنيت بجمعهِ وطبعهِ مجلة « المرأة الجديدة » في بيروت قالت جامعتهُ صاحبة المرأة الجديدة السيدة جوليا دمشقية تخاطب مياً « لقد لقبكِ ابناء بلادي بالنابغة فخاطبك العالم وقرظك الشاعر وناجتك الفتاة بهذا اللقب حتى اصبحت النابغة صفة لاسمكِ بل جزءًا متمماً لشخصيتك انما هم فعلوا ذلك مسوقين بعامل الخشوع والاعجاب بعد اطلاعهم على نتائج عقلكِ النادر المثال » ويلي ذلك نحو مائة وخمسين صفحة حافلة بما قالتهُ الصحف وجادت بهِ قرائح الشعراء والسنة الخطباء من وصف الاحتفال بنابغتنا والاشادة بمدحها. ولا نعلم ان احداً من الكتّاب او العلماء على الاطلاق لقي ما لقيت مي من اهل العلم والادب بل من رجال السياسة ايضاً. ومن شاء ان يرى كيف يعرف الفضل ذووهُ والمنزلة العليا التي بلغتها هذه النابغة من نفوس السوريين فليطالع هذا الكتاب ولاسيما ما نطقت بهِ بنات سورية هاك ما قالهُ السيدة خرستين خوري

ايا مي هذه السن تنشُرُ الحلى — وهل تلك آيات تفيض على الفكر
وهل هي احلامٌ تصورها المنى — فتسموها الابصار شوقاً وما تدري
فوالله ما هذا وذاك وانما — غدا سحرك الغالي على قلبنا يجري
وما هي الا روح مي تمازجت — بكل فؤاد فاجتلى آية السحر
وتلك مزاياك الحسان تضوعت — تفيض على ارجائنا نشرها العطري
عليك سلام الله يا ميُّ كلما — جرى ذكر مي في العوالم بالفخر

وما قالتهُ الآنسة الماس سليمان في ختام خطبة لها

لك المجد في صدر الحياة مشيد — وبين معالي العز فخرٌ مؤبدُ
لك الدهر والازمان فسحة مرتع — وسامي رباها للنبوغ — مقعدُ
لك هامة الاجيال تصبو وتنحني — ونفسك في ظل الخلود ستنشدُ

وما قاله سائر الخطباء والشعراء اعجاباً بها يفوق كل وصف . وحبذا لو شمل هذا الكتاب وصف الحفلة التي اقامتها لها الجامعة الاميركية لان لها شأناً كبيراً يكاد يكون شهادة علمية رسمية

تاريخ عمر بن الخطاب

تأليف الامام جمال الدين ابي الفرج بن الجوزي الملقب بجمال الدين الحافظ المتوفى سنة ٥٩٨ عن نحو تسعين عاماً وقد عني بنشره حضرة محمد افندي امين الخانكي الكتبي وقدّم له مقدمة حسنة في ترجمة المؤلف فذكر فيها ما يروى عن كثرة تآليفه من غير ان يبدي الريب الذي ابداه القاضي ابن خلكان في وفيات الاعيان

وفي تاريخ الامام عُمَر او سيرته عبر كثيرة يحسن نشرها للاعتبار بها ففيها عن ابن سعد قال قال عُمَر والله لا ادري اخليفة انا ام ملك فان كنت ملكاً فهذا امرٌ عظيم فقال قائل يا امير المؤمنين ان بينهما فرقاً قال : وما هو . قال الخليفة لا يأخذ الاّ حقّاً ولا يضعهُ الا في حق وانت بحمد الله كذلك والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا . فسكت عُمر . وفي هذا دليل على انهم كانوا يفرقون بين الخليفة والملك في ذلك العهد حاسبين ان بينهما تناقضاً . وفي الاقوال المنسوبة اليه حكم رائعة كقوله « يا معشر قريش لا يغلبنكم هذا واصحابهُ على التجارة فانها ثلث الملك » . وقوله للقراء « لا تكونوا عيالاً على المسلمين » . وقوله « مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس » والكتاب حافل بمثل هذه الآثار وغيرها

كتاب الدستور المصري

والحكم النيابي في مصر

كتاب قيم يقع في ٦١٦ صفحة من القطع الكبير يشتمل القسم الاول منهُ على تمهيد موجز في نظام الحكومة المصرية منذ سنة ١٥١٧ ميلادية الى الآن ويتلوهُ نص الوثائق الثلاث التي تلاها استقلال مصر اي مشروع كرزن ورد الوفد المصري الرسمي عليه ومذكرة اللورد اللنبي التفسيرية ونص تصريح ٢٨ فبراير ثم دستور الدولة المصرية ومذكرة صاحب المعالي احمد ذو الفقار باشا عن الدستور المصري ويتلو ذلك نحو ١٨٠ صفحة فيها خير ما نشرهُ الكتاب والصحف في نقد مشروع الدستور من جميع وجوهه

والقسم الثاني يشمل قانون الانتخاب ونقد الجرائد والكتاب لهُ

والقسم الثالث يحوي قانون التضمينات والغاء الاحكام العرفية وما قيل فيهما

والقسم الرابع يحوي بحثاً مفيداً في أنظمة الممالك الدستورية ووصفاً للمجالس النيابية في انكلترا وفرنسا وايطاليا واليابان والولايات المتحدة وفي السياسة الحزبية ومقام الاحزاب في حكومتي انكلترا واميركا. ويلي ذلك ملحق في القوانين النظامية المصرية منذ سنة ١٨٦٦ الى الآن . والكتاب مذيل بفهرس عام مرتب على حروف الهجاء حتى يسهل الوصول الى كل ما يراد مطالعتهُ فيهِ

يرى القارئ مما تقدم ان هذا الكتاب ضمَّ بين دفتيهِ كل الوثائق الرسمية التي لها علاقة بسياسة مصر الحديثة وخير ما قيل فيها . ولا شك ان سيكون لهُ شأن في المستقبل كمصدر يرجع اليهِ المؤرخون حين يكتب تاريخ النهضة المصرية الحديثة كما يرجع اليهِ الآن كل الذين يهتمون بسياسة القطر المصري وادارتهِ فلا يستغني عنهُ احدٌ في بيتهِ خزانة كتب

وقد عني بجمعهِ حضرة البرت بك شقير نجل صاحب السعادة سعيد شقير باشا وطبع في مطبعة المقتطف والمقطم طبعا متقناً على ورق جيد متين وثمنهُ ٣٥ غرشاً صاغاً يضاف اليها اجرة البريد وهو يطلب من كل المكاتب الكبيرة في العاصمة ومن وكلاء المقطم في الجهات

تاريخ هنيبال

يقول الاستاذ برستد المؤرخ الاميركي الشهير في كتابهِ « العصور القديمة » ان النزاع بين رومية وقرطاجنة لم يكن نزاعاً بين مدينتين قويتين كل منهما تتطلع الى التسلط على الاخرى والانفراد بالسيادة في البحر المتوسط بل كان نزاعاً بين عنصرين كبيرين من البشر هما العنصر المعروف بالهندي الاوربي والعنصر الساميّ وما كانت رومية وقرطاجنة سوى مقدمتي هذين الجيشين الكبيرين المصطفين للقتال على جانبي البحر المتوسط . اذا عرفت ذلك ادركت ما للحروب البونية من الاثر في التاريخ. ولا شك ان هنيبال القائد القرطاجني كان اعظم القواد الذين انجبتهم تلك الحروب بل هو من اعظم القواد في التاريخ ولو كان نصيبهُ الفشل والخذلان في معاركهِ الاخيرة. وقد وضع الاستاذ جاكوب ابوت تاريخاً وافياً لحياة هذا القائد الشرقي فعنيت ادارة جريدة الهدى النيويركية لصاحبها الصحافي الفاضل نعوم افندي مكرزل بترجمتهِ ونشرت الترجمة فصولا في « الهدى » ثم جمعت وطبعت في كتاب على حدة طبعاً متقناً جدًّا على ورق من أجود انواع الورق ويقع في ٢٤٤ صفحة من القطع المتوسط ويطلب من مطبعة الهدى بنيويورك

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف ، ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله وان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كاف

(١) كتابة العدد ١٠٠

مصر احد القراء . اراكم تكتبون العدد ١٠٠ الآن هكذا « مائة » وكنتم تكتبونهُ في مجلدات المقتطف السابقة هكذا «مئة ». فايهما اصح. وكذلك كنتم تكتبون ٤٠٠ هكذا « اربع مئة» والآن تكتبونها «اربعمائة» فلماذا ايهما اصح

ج . كنا نكتب الكلمة الاولى مئة على لفظها ولان استاذنا في العربية اليازجي الاكبر كان يكتبها كذلك وهذا الذي جرت عليهِ المطبعة الاميركية في كل ما طبع فيها ولما رأينا الكتاب في هذا القطر يكتبونها « مائة » والاسلوبان صحيحان جاريناهم في كتابتها . اما كونهما صحيحان فدليلهُ ما حفظ من الخطوط العربية القديمة التي لا شبهة في قدمها ولا يحتمل ان يكون قد وقع فيها تغيير وهي النقود الاسلامية القديمة من ذهب وفضة ونحاس فهذه كما ترون في مقالة النقود الاسلامية المنشورة في هذا الجزء من المقتطف والمصورة فيهِ بالفوتوغراف عن النقود المحفوظة في دار التحف بالاستانة نُقش العدد ١٠٠ فيها احياناً مايه واحياناً مية . وقد بحثنا في سائر ما عندنا من صور النقود فوجدنا ان ٤٠٠ تكتب احياناً اربعماية واخرى اربع مئة او اربع ماية وقس على ذلك خمس مائة وخمسماية لكن ٦٠٠ لم نرها منقوشة على النقود الا هكذا « ستماية » وحينئذٍ ابتدأ العدد يكتب بالارقام الهندية في بعض المسكوكات الارتقية

(٢) النسبة الى كيمياء

ومنهُ . اراكم تنسبون الى الكيمياء فتقولون كيماوي وغيركم يقول كيميائي فايهما اصح

ج . ان كلمة كيميائي صحيحة نسبة الى كيمياء ولكنها طويلة ثقيلة والعالم كلهُ سائر نحو الاختصار والاقتصاد في الوقت والقوة وقد كان ابناء العربية يختصرون كثيراً فقالوا في النسبة الى عبد شمس عبشمي والى عبدالله عبدلي ولكن كان

ذلك قبلما قام الكتّاب وحاولوا تقييد اللغة بقيود من حديد ويريد بعض كتّابنا الآن ان يحنطوها ويكفنوها ويدفنوها في قبر الخليل وسيبويهِ ولكنها حيَّة على السنة متكلميها ويعلم اهل النظر منهم انها وسيلة لا غاية فيجارون بها الزمان. ولا شبهة ان كلمة كيماوي اخصر من كلمة كيميائي وكلمة كيماويين اخصر من كلمة كيميائيين. والميل شديد في الالسنة الى ترخيم الهمزة لما يقتضيهِ التلفظ بها من الجهد وهذا الميل جعلهم يقولون كيما بدل كيمياء. اما كلمة كيماوي فاول مَن كتبها كذلك فيما نعلم عالم مصري وهو السيد حمد الرشيدي في كتابهِ الممتع المسمَّى عمدة المحتاج في علمي الادوية والعلاج وهو اربعة مجلدات كبيرة وقد تم طبعهُ في المطبعة الاميرية بهذا القطر سنة ١٢٨٣ لكن مؤلفهُ السيد الرشيدي توفي في اواسط رمضان سنة ١٢٨٢ وكان قد صحح ما طبع منهُ قبل وفاتهِ. وعليهِ فالجزء الاول منهُ طبع قبل اواسط رمضان سنة ١٢٨٢ اي في اواخر يناير او اوائل فبراير سنة ١٨٦٦. وقد جاء في الصفحة الخامسة من المجلد الاول منهُ ما نصهُ « فاذا كان الجوهر معدنيًّا سواء كان عنصراً اصليًّا او ملحاً معدنيًّا اذكر اسمهُ المتعارف بالعربية والافرنجية واسمهُ الطبيعي الكيماوي. ثم صفاتهِ الكيماوية. ثم اذكر تحضيرهُ الاقراباذيني الكيماوي » ويقال في خاتمة الجزء الرابع من هذا الكتاب ان علماء اللغة في مصر وقفوا عليهِ وصححوهُ. والظاهر ان استاذنا الدكتور ڤان ديك لما درَّسنا علم الكيمياء سنة ١٨٦٩ كان قد رأى كتاب الرشيدي هذا او كتباً اقدم منهُ فاعتمد هذه النسبة في كتابهِ الذي وضعهُ في الكيمياء وطبعهُ سنة ١٨٦٩ فجاريناهُ من غير بحث

(٣) المكرسكوب والمجهر

ومنهُ. لماذا تستعملون كلمة مكرسكوب ولا تستعملون كلمة مجهر التي وضعت حديثاً لهذه الآلة

ج. اننا نستعمل كلمة مكرسكوب للسبب الذي لاجلهِ استعمل فلكيو العرب كلمة اسطرلاب واستعمل فلاسفة العرب كلمة ايساغوجي واستعمل اطباء العرب كلمة كيموس ومئات من الكلمات الطبية اليونانية واستعمل نباتيو العرب مئات من اسماء النباتات اليونانية والفارسية. وكان في امكان هؤلاء كلهم ترجمة هذه الكلمات الاعجمية او وضع كلمات عربية لها بالاشتقاق او بالنحت ولكنهم اقتبسوها كما هي وحسناً فعلوا تسهيلاً لنقل العلوم واشتراك العلماء. وجاراهم الجوهري والفيروزابادي وابن سينا وغيرهم من جامعي متن اللغة ولم يروا معرة على العربية ان تدخلها كلمات

العجمية . ولا نقول انهُ يستحيل علينا ان نضع لبعض الكلمات العلمية الفاظاً عربية اما بالنحت او بالاشتقاق كما وضعت كلمة ماهية وكما وضعنا كلمة غواصة ولكننا لا نرى من الحكمة ان نحاول ذلك اذا سبقنا غيرُنا الى تعريب الكلمة الاعجمية او اذا رأينا الكلمة الاعجمية سهلة اللفظ والاستعمال مثل كلمة مكروب او اذا كان للفظ العلمي دلالة معنوية اصطلح عليها علماء الفن ككل المصطلحات الكيماوية والجيولوجية والنباتية والجغرافية او اذا كانت خاصة باصحاب فن كاسماء الادوية الجديدة وهي كثيرة تعدُّ بالمئات كالكينا والانسولين والانتيبرين والفيناستين والحامض الكربوليك واليود والاستركنين وما اشبه . والمتعصبون للقديم يصخبون واللغة تتسع والعلم يتقدم ولم تنهض العربية في عصر من عصورها كما نهضت الآن . كان المؤلف يطبع الف نسخة من كتابهِ فيبيع منها مائة في عشر سنوات والبقية تأكلها الفيران والآن يطبع خمسة آلاف نسخة فتباع في سنة . وكانت الجريدة تفتخر اذا وجدت الف مشترك وباعت مائة نسخة في اليوم اما الآن فلا يندر ان تبيع ثلاثين الف نسخة كل يوم وقصار البصر يبكون ويقولون ارتكبتم اللحن وابدلتم حرفاً بحرف وادخلتم كلة اعجمية فامتم اللغة . ألا انهم هم الموتى لانهم لا يسيرون مع الاحياء

(٤) النفس والعقل والفكر

مصر . مصطفى افندي محمد ابراهيم

ما الفرق بين النفس والعقل والفكر وما عمل كلٍّ منها واين مركزهُ

ج . يظهر من اقوال الفلاسفة الآن انهم يعنون بالنفس والعقل شيئاً واحداً وهو القوة المفكرة في الانسان فالفكر او التفكير عملها واهم مراكزها الدماغ ولكن العقد العصبيَّة في الحبل الشوكي وغيره تفعل افعالاً يصح ان تسمَّى عقلية . ويظهر لنا ان كل دقيقة من دقائق الجسم وكل خلية من خلاياهُ تفعل فعلاً حيويًّا شبيهاً بافعال الاحياءِ العاقلة المختارة فتأخذ ما تحتاج اليهِ من الغذاءِ وترفض ما سواهُ وتبني مما تأخذهُ ما يقوم بهِ بناءُ الجسم الخاص بها من حيث النمو والتعويض وتدافع عن حياتهِ فتقاتل المكروبات المرضية التي تسطو عليهِ . وان هذه القوة الحيوية التي بلغت في الانسان درجة التعقل وميزتهُ على سائر انواع الحيوان هي نفسهُ الناطقة التي خصَّهُ بها خالقهُ

(٥) فناء المادة

ومنهُ . يقولون ان المادة لا تفنى ولكننا نرى ان الضوء يذهب فجأة ولا يبقى لهُ اثر كضوء المصباح الكهربائي عند قطع التيار عنهُ وكضوءِ البرق بعد ما يومض فكيف تعللون ذلك

ج . اذا جررتم قوساً على وتر كمنجة رأيتم الوتر يرتجف ويسخن بارتجافهِ وسمعتم لهُ صوتاً . وكذا ترتجف دقائق المادة بالحرارة فتسخن اولاً وتظهر حمراء ثم اذا زاد حموها ظهرت منيرة سواء كانت جامدة كالسلك الذي في المصباح الكهربائي او غازاً كالغاز الذي فوق الشمعة المضيئة. فاذا نفخنا على لهب الشمعة اي على الغاز الحامي فابعدناهُ عن مصدر الحرارة في الفتيلة قلّت حرارتهُ فيقل ارتجافهُ الذي يجعل اعصاب عيوننا تشعر بهِ منيراً فلا نراهُ بعد ذلك ونقول انهُ انطفأ واذا قطعنا التيار الكهربائي عن مصباحهِ انقطع الفاعل المحرك لهُ على الارتجاف اي انقطعت الكهربائية التي تهزهُ فزال ما كنا نشعر بهِ نوراً. وكل ما يسبب النور ارتجاف سريع جدًّا في المادة تشعر بهِ عيوننا نوراً كما تشعر آذاننا بارتجاف الهواء صوتاً وليس في الحالين مادة تتلاشى

(٦) مصدر النيازك

ومنهُ . ما رأيكم في الحديد النيزكي الذي ينزل احياناً من السماء في بعض الاماكن وما اصلهُ

ج . اختلف الباحثون في مصدرهِ على ستة آراء شرحناها في المجلد الحادي والاربعين من المقتطف صفحة ٢٣٤ وما بعدها

الاول : انهُ من الحجارة النيزكية المنتشرة في الفضاء التي هي اصل الشموس والسيارات

الثاني : انهُ مقذوف من الشمس

الثالث : انهُ من سيَّار صدمهُ آخر فتكسَّر

الرابع : انهُ مقذوف من براكين القمر

الخامس : انهُ من كسر قمر كان يدور حول الارض في الازمنة الغابرة

السادس : انهُ قذف من براكين الارض في العصور الغابرة

والرأي الاخير يقول بهِ الآن اكثر علماء الفلك والجيولوجيا

(٧) وصول الصوت الى الاذن

ومنهُ . كيف يصل الهواء الى الاذن مع ان الصوت يُسمع احياناً من وراء جدار او من تحت الارض

ج . الصوت ارتجاف في الجسم المصوّت ينقلهُ الهواء الى الاذن ويمكن نقله بالماء ايضاً وبالاجسام الجامدة . والهواء لا يخلو مكان منهُ فاما ان ينتقل الصوت اليهِ وبهِ الى الاذن مباشرة او ينتقل الى جسم جامد ومنهُ الى الهواء فالاذن

(٨) ترجمة كتاب سبنسر في التربية

العطف. شحاته افندي محمد الجويني. هل توجد ترجمة عربية لكتاب سبنسر في التربية

ج . نعم

(٩) احسن قواعد التربية

ومنهُ . اي المالك تستعمل احسن طرق التربية

ج . يظهر لنا ان الولايات المتحدة تستعمل الآن احسن طرق التربية المعروفة لانهـا مبنيـة على القواعد العلمية

(١٠) نقط الياء

ومنهُ . وماالسر في عدم وضع نقطتين تحت ياءِ علي وقاضي ومصري

ج. كان الاقدمون يكتبون الحروف المنقوطة مهملة كما يظهر من نقودهم واقدم مخطوطاتهم ثم تدرجوا في وضع النقط ولكنهم اهملوا احياناً وضع النقطتين للياءِ المتطرفة لان شكلها يمنع وقوع الالتباس بينها وبين سائر الحروف كما يقع بين الحاءِ والجيم وبين الدال والذال ويسهل التفريق بينهـا وبين الالف المقصورة التي تكتب بصورة الياءِ . ولكن لما انشأ الاميركيون مطبعتهم في بيروت اختاروا وضع النقطتين للياءِ المتطرفة تمييزاً لها عن الالف المقصورة ولا كلفة في ذلك لان المسبك يسبك ياءً منقوطة كما يسبك ياءً غير منقوطة ومرتب الحروف يجمع ياءً منقوطة كما يجمع ياءً غير منقوطة ويكفي القارىء عناء التفكير للتمييز بين الياءِ والالف المقصورة حيث يقع الالتباس

(١١) نقط الياء ايضاً

ومنهُ . الا ترون ان وضع النقطتين انفع للفرق بين الياءِ والالف اللينة

ج . نعم ونحن جارون على ذلك

(١٢) اسم مصر

ابيرا بالبرازيل الخواجه سامي غطاس لماذا يدعون مصر في غير العربية Egypt وما معنى هذه الـكلمة ولماذا لا يدعونها مصر مع انها اسهل لفظاً

ج . الكلمة الافرنجية مأخوذة من اليونانية اجيبتوس Aigyptos والمظنون ان الكلمة اليونانية محرفة من كلمة مصرية تلفظ هكيپتاح اي مدينة پتاح وهي مدينة منف . والكلمة مصر العربية من كلمة مَـزَر العبرانية ومعناهـا المسوَّر

(١٣) في الصيف ضيعت اللبن

الاسكندرية . امين افندي شاروبيم قلته . ما اصل المثل القائل « في الصيف ضيعتِ اللبن »

ج . اصلهُ على ما في كتاب الفاخر ان عمراً بن عُدُس تزوج امرأة اسمهـا دختنوس من بعد كِبرَ فجحف ذات ليلة وسال لعابهُ فتأففت فانتبه وهي تتأفف فقال أتحبين ان اطلقكِ قالت نعم فطلقها فتزوجها فتىً حسن الوجه ففجئتهم غارة فمات زوجها هذا رعباً وسبيت هي ثم ارسلت الى زوجها الاول تطلب لبناً فقال لها الصيف ضيعت اللبن فذهبت مثلاً

(١٤) كتاب الطب البيتي

شبرا مشترك . ما هو اوفى كتاب بالعربية يجب ان يقتنى في البيت لكي يرجع اليهِ في كل الامور الطبية ويكون مرشداً صحياً مفيداً حتى في غير حالات المرض

ج . نرى ان الكتاب الذي وضعهُ المرحوم الدكتور ورتبات واسمهُ مرشد العوام في تدبير الصحة وشفاءِ الاسقام يفي بالغرض الذي تشيرون اليهِ وهو مطبوع في بيروت

(١٥) الصحف العربية

الاسكندرية . حسن افندي فهمي المحامي . نرجو ان تكتبوا لنا مقالة ممتعة عن الصحافة العربية في العالم اجمع مع ذكر اسماءِ الصحف العربية كلها وعناوينها

ج . هذا البحث لا يستوفى في مقالة ولا في بضع مقالات وقد وضع الكونت طرازي كتاباً كبيراً فيهِ طبع في بيروت تجدون فيهِ ضالتكم الى حين طبعهِ . والصحف تزيد كل سنة ولكننا لا نظن انهُ نشأ منها وعاش بعد طبع الكتاب صحف كثيرة

(١٦) سجن الباستيل

بيروت . الخواجه ميشيل ابرهيم ملكي . من بنى سجن الباستيل في فرنسا وفي اي سنة ولماذا دعي بهذا الاسم وهل توجد آثارهُ الان

ج . بناهُ الملك كارلس الخامس بين سنة ١٣٧٠ و١٣٨٣ امام باب سان انطوان للدفاع عن باريس من هجوم الانكليز لكنهُ استُعمل سجناً ثم وسّع واضيفت اليهِ اسوار . ويظن ان معنى الباستيل البرج او الحصن او القلعة وهي من اليونانية بستازن ومعناها اقام او عضد. ولم يبقَ من آثاره المادية شيء ولكن آثاره الادبية باقية فانهُ رمز الى الاستعباد وتخريبهُ رمز الى الحرية

(١٧) شجر القرنفل

زنجبار . احد المشتركين هل تظنون ان اشجار القرنفل تعيش في مصر كما تعيش في هذه الجزيرة وهل منها فائدة للقطر المصري

ج . يظهر انكم تريدون شجر كبش القرنفل . ونظن انهُ يعيش في هذا القطر في الصعيد والسودان لان اقليمها يقرب في حرارتهِ من اقليم زنجبار وسائر البلدان التي يعيش فيها شجر كبش القرنفل . اما الفائدة فلا يمكن القطع بها ايجاباً او سلباً قبلما يجرَّب زرع الشجر ويرى مقدار غلتهِ في القطر المصري وما يقتضيهِ من العمل في قطف الازهار وتجفيفها قبل تفتيحها

باب الاخبار العلمية

مقتطف ابريل

افتتحنا هذا الجزء من المقتطف بمقالة موضوعها البرلمان المصري والحكم النيابي في التاريخ وفيها صور صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول وصاحب الدولة سعد زغلول باشا ودار البرلمان المصري ودار البرلمان الانكليزي ودار الكنغرس الاميركي

ثم قصيدة بليغة للشاعر النابغة مصطفى صادق الرافعي موضوعها « ايام لبنان » وهي فصل من كتاب وضعهُ وسماهُ « رسائل الاحزان »

ويليها فصل عن « صنعاءِ اليمن » من الكتاب الذي يشتغل بوضعهِ حضرة الكاتب الشهير امين افندي الريحاني متضمناً وصف رحلتهِ الى بلاد العرب. وفي هذا الفصل صورة بوابة صنعاء وصورة حيّ من احيائها الكبيرة وصورة مبانٍ في الطريق اليها

وبعدهُ تتمة مقالة الدكتور شريف عسيران الصحية وموضوعها « الكايتان والصحة »

ويلي ذلك جانب من خطبة سمو الامير عمر طوسون الكاملة في « مالية مصر من عهد الفراعنة الى الآن »

ثم قصيدة لشاعر المهجر الاستاذ ايليا ابي ماضي موضوعها « الحجر الصغير »

وبعدها فصل انتقادي بليغ للآنسة « مي » موضوعهُ « لوتي الراحل الباقي »

ويلي ذلك كلام على الحال في بلاد الانكليز بعد معركة وطرلو ومقابلتها بالحال بعد الحرب الكبرى

ثم كلام علمي على اكتشاف الهفنيوم العنصر الجديد في مركبات الزركونيوم

ويلي ذلك مقالة مسهبة لامين افندي سعيد موضوعها النقود في الجاهلية وصدر الاسلام وفيها صورة بعض النقود التي يرجع تاريخها الى عهد الخلفاءِ الراشدين وهي الان في متحف الاستانة

وبعدها كلام على « المقتطف والنفس الروحية » على ذكر ما جاءَ في مجلة المشرق تحت هذا الموضوع

ثم فصل فلسفي علمي موضوعهُ « ماهية التاريخ وصفيًّا وفلسفيًّا » لاسماعيل بك مظهر

وبعدهُ خواطر اجتماعية وفلسفية لحسين افندي عابدين من الطلبة المصريين بمونبليه

ثم بحث مسهب للاستاذ محمد رفعت في تاريخ المغفور لهُ الخديوي اسماعيل باشا وفيهِ صورتهُ

ويلي ذلك الحلقة الخامسة من مقالات الاستاذ عبد الرحيم محمود في نظامنا الاجتماعي وموضوعها «كيف نستأصل الرذائل ونربي الفضل» وفيها كلام بليغ على «الصدق»

وبعدها مقالة للدكتور محمد زكي شافعي موضوعها «تعاون اعضاء الجسم بواسطة الدورة الدموية»

ثم كلام على «البترول والحرب المقبلة» وفيهِ صور كثيرة

ويليهِ جانب من خطبة علمية صناعية لثابت افندي ثابت موضوعها «الصباغة وصناعة الاصباغ» القاها في نادي التجارة العليا

وفي باب المراسلة والمناظرة رد للاستاذ جميل صدقي الزهاوي على «كلدة» في اصل قريش والخليفة. وفي باب الزراعة كلام على زراعة القطن في سوريا للامير مصطفى الشهابي ونبذ علمية وعملية

وسائر الابواب حافلة بالفوائد والاخبار والاراء العلمية والفلسفية

مصر منشأ العمران

وضع المستر بري الانكليزي كتاباً عنوانه ما ترجمته «اولاد الشمس» ابان فيه انه كان للعمران اصل واحد وممتد واحد ذاهباً في ذلك مذهب الاستاذ اليوت سمث الذي قال ان مصر مهتد العمران لان شروطهُ الجوهرية الثلاثة اجتمعت فيها وهي اولاً اقليم معتدل في حره وبرده وقلة تغير الاحداث الجوية فيه. وثانياً شعب من ارقى السلالات البشرية في ذلك العهد. وثالثاً بلاد منفصلة عن غيرها فيسهل على العمران اذا ابتدأ فيها ان يرتقي قرناً بعد قرن من غير ان تجتاحها امم اخرى تقضي عليه. وقد وجد فيها اهم مقومات العمران القديم اي ارض زراعية تروى ريًّا ومبانٍ بنيت بحجارة كبيرة واجسام محنطة ونوع من الدفن خاص باقدم الشعوب وآثار عبادة الشمس واشتراك الرجال والنساء في الاحكام والاعمال وكل ذلك وجدت آثارهُ فيها مرة واحدة دلالة على انه نشأ فيها ثم لما تمكن جعل ينتشر في المسكونة. ومدار هذا الكتاب على كيفية هذا الانتشار وتاريخهِ والسبل التي سار فيها اولاً

الرؤية بالجلد

المعروف المشهور ان الحواس خمس البصر والسمع والشم والذوق واللمس. العين آلة البصر والاذن آلة السمع والانف آلة الشم والفم آلة الذوق والجلد آلة اللمس. الاَّ ان الشعور باللمس على انواع فقد نشعر

بوجود ما نلمسهُ فقط وقد نشعر بانه ثقيل او خفيف اوسخن او بارداوصقيل اوخشن. فهذه حواس مختلفة تقوم بها اعصاب الجسم الواصلة الى الجلد. وقد قام الآن رجل في فرنسا اسمهُ جول رومان وادعى انه يرى بجلده اي ان في جلده حاسة الشعور بالنور الى درجة الرؤية. وادعى ايضاً انه امتحن كثيرين غيره فوجد ان الانسان اذا مرّن جلده على رؤية المرئيات صار يراها كما يراها بعينيه. واكثر ما يكون ذلك في الصدر والكتف وقفا العنق وقال انه مرّن اناساً على الرؤية بصدورهم فصاروا يقرأون بها كما يقرأون بعيونهم. ويقال ان البعض من اساتذة السوربون رأوا ذلك وشهدوا بصحته. ومن اكبر شهوده اناتول فرانس وهنري برغصن فان ثبت ذلك عُللت به بعض الغرائب المروية عن اناس كانوا يقرأون كتابة توضع على قفا اعناقهم. لكن اذا كان المسيو رومان محتالاً فشاعر مثل اناتول فرانس وفيلسوف مثل هنري برغصن قلما يحتمل ان يكتشفا حيلتهُ لان الشعراء والفلاسفة من ابسط الناس وابعدهم عن اكتشاف الخداع

هبة علمية طبية

وهب لورد أثولستان خمسمائة الف ريال لحكومة كوبك بكندا لكي تحارب بها داء السل المتفشي فيها

بخار الزيبق في الآلة البخارية

استنبط مهندس اميركي اسمهُ امت W. L. R. Emmet طريقة لاستعمال بخار الزيبق مع بخار الماء في الآلة البخارية فتزيد قوتها ويقتصد بها كثير من الوقود. وقد صنعت الشركة الكهربائية العمومية باميركا آلة كبيرة قوتها ٦٠٠٠ حصان تعمل على هذا المبدأ. وعندهُ ان هذه الآلة تعمل ببخار ضغطهُ ٣٥ رطلاً على البوصة المربعة اكثر مما تعملهُ آلة عادية ضغط البخار فيها ٢٠٠ رطل على البوصة وتعطي من كل رطل من الوقود قوة تزيد ٥٢ في المائة على القوة التي تعطيها الآلة الاولى. وسيكون لهذا الاستنباط شأن كبير جداً ولا يخشى الآن من ان يفلت بخار الزئبق منها فيسم العمال

نفقات الولايات المتحدة على الطعام

ينفق سكان الولايات المتحدة نحو ٤٩ مليون ريال يومياً على الطعام. وثلث هذا المال تقريباً او ١٤ مليون ريال ينفق على الخبز والبطاطس والسكر والفاكهة وغيرها من الاطعمة النباتية. وينفق نحو ٢٠ مليون ريال يومياً على اللحم والسمك والفراخ وما اشبه والباقي او نحو ١٥ مليون ريال ينفق على اللبن والزبدة والجبن والبيض

حياض الحيوانات

بُني حديثاً في مدينة سان فرنسسكو بالولايات المتحدة حياض كبيرة للحيوانات البحرية انفق عليها ثلثمائة الف ريال وهي نحو ٩٠ حوضاً بين كبير وصغير منها ثلاثة متسعة للفقم وحوض خاص بالتماسيح والحيّات المائية والسلاحف. وفي الحديقة آلات خاصة لتسخين الماءِ وتبريدهِ ليوافق الحيوانات المختلفة فاذا كان في حوض منها حيوانات تقطن الاصقاع الشمالية الباردة جعلوا الماء فيها بارداً واذا كانت من البلدان الاستوائية جعل الماء فيهِ حاراً

وقد أُلحق بهذه الحياض مكتبة بيولوجية كبيرة ومختبر بيولوجي مجهز باحدث الالات والوسائل العلمية ومتحف فيهِ كثير من الحيوانات البحرية المصبَّرة

حفظ الزبدة

تجرب الآن في هولاندا وسيلة جديدة لحفظ الزبدة من الفساد. مدارها على مخض الزبدة من القشدة في غاز الحامض الكربونيك فيملأ هذا الغاز مسام الزبدة بدلاً من الاكسجين الذي يزيد سرعة الفساد. ويقال ان كيلو غراماً من غاز الحامض الكربونيك يكفي لالف كيلو غرام من الزبدة ولكن هذه النفقة الزائدة لا تحسب شيئاً في جانب الفائدة التي تحصل من حفظ الزبدة

الانارة باللاسلكي

لقد تم لاصحاب التلغراف والتلفون اللاسلكيين ان يطوقوا الارض بهما فهل يتم لهم ايضاً نقل القوة باللاسلكي ?هذا الامر سيكون مدار البحث في السنوات المقبلة. وقد تمكن الدكتور رُدني هوتني الاميركي من انارة قنديل كهربائي قوتهُ ١١٠ شمعات باللاسلكي. والعلماءُ الذين شهدوا هذه التجربة قالوا ان سيكون لهذا العمل أثر كبير في تقدم فن اللاسلكي لا يقل عن التجارب الاولى لنقل الاصوات بهِ

النبات والايثر

اكتشف الاستاذ لمسدن في مجلس زراعة البساتين الاميركي ان في الامكان زيادة نمو النباتات بواسطة المخدر المعروف بالايثر اما بحقنها بهِ او باحاطتها بهِ حتى تتنفس بخارهُ

التلفون اللاسلكي

من اغرب ما تفعلهُ بعض المحطات اللاسلكية الانكليزية انها تتناول الاغاني الموسيقية الاميركية المذاعة من اميركا فتقويها وتذيعها ثانية في بلاد الانكليز

مدرسة الخرطوم الطبية

انشئت مدرسة طبية في الخرطوم تذكاراً للورد كتشنر وقد تمّ اعدادها الآن للتدريس وفتحها السر لي ستاك حاكم السودان العام في التاسع والعشرين من فبراير الماضي . وقد انفق على بنائها واعدادها ٢٦٠٠٠ جنيه

وفاة عالم

توفي الدكتور چاك لوب الطبيب والعالم البيولوجي الشهير في ١٢ فبراير الماضي . ولد في المانيا سنة ١٨٦٠ وتلقى العلوم فيها واشتهر هناك بابحاثه في اصل الحياة ثم انتقل الى الولايات المتحدة سنة ١٨٩١ وعيّن سنة ١٩١٠ رئيساً لقسم البيولوجيا العملية في معهد ركفلر الطبي

التدفئة بالغياسر

تعد العدة في مدينة ريكجاڤك بروسيا للاستعانة بماء الغياسر السخنة في تدفئة المدينة فتنقل في الانابيب من مسافة ميل وتوزع على البيوت . والغياسر ينابيع حارة تنبع من الارض البركانية وتصعد في الجو

الانارة بغاز النيون

يفرغ انبوب زجاجي من الهواء ويملأ بغاز النيون تحت ضغط يقل عن ضغط الهواء الطبيعي ثم يمرّ في الانبوب تيار كهربائي قوي فينير غاز النيون نوراً ساطعاً

الدكتور اسكندر مشاقة

نعي الينا من دمشق احد ابناء الجامعة الاميركية الاُوَل صديقنا الدكتور اسكندر مشاقه ابن الخالد الاثر الدكتور ميخائيل مشاقه وشقيق المرحوم الدكتور ابراهيم مشاقه توفاه الله في السابع عشر من شهر مارس الماضي وكان من وجهاء دمشق واطبائها المشهورين

علاج للتسمم

والى السر المرُثريط الطبيب الانكليزي تجاربهُ لاكتشاف علاج شاف لتسمم الدم المعروف بالسبتسيميا . وقد خطر لهُ اخيراً ان يستخرج دم رجل سليم ويزرع فيهِ مادة مضادة للسبتسيميا ثم يحقن المصاب به فاصابت طريقتهُ هذه نجاحاً باهراً

تحويل النشاء الى سكر

استنبط الدكتور جور من مصلحة الكيميا بوزارة الزراعة الاميركية اسلوباً تجاريًّا لتحويل النشاء الى سكر على نحو ما يتحول في الفم والمعدة ويقول انه يستطيع ان يحول كل ما في الذرة من النشاء الى ما يساويهِ وزناً من السكر

الجزء الرابع من المجلد الرابع والستين

صفحة

٣٦١ البرلمان المصري (مصورة)
٢٦٩ رسائل الاحزان . (قصيدة) لمصطفى افندي صادق الرافعي
٣٧١ من كتاب ملوك العرب . لامين افندي الريحاني (مصورة)
٣٧٩ الكليتان والصحة . للدكتور شريف عسيران
٣٨٥ مالية الحكومة المصرية لصاحب السمو الامير عمر طوسون
٣٩٢ الحجر الصغير . (قصيدة) لايليا افندي ابي ماضي
٣٩٣ لوتي الراحل الباقي . للآنسة (مي) زيادة
٣٩٧ الحال بعد الحرب
٣٩٩ البحث العلمي
٤٠١ النقود في الجاهلية وصدر الاسلام لامين افندي سعيد (مصورة)
٤٠٨ المقتطف والنفس الروحية
٤١٠ ماهية التاريخ . لاسماعيل بك مظهر
٤١٥ ثورة آراء . لحسين احمد افندي عابدين
٤١٧ الخديوي اسماعيل . لمحمد افندي رفعت (مصورة)
٤٢٦ نظامنا الاجتماعي . لعبد الرحيم افندي محمود
٤٣٠ تعاون اجزاء الجسم . للدكتور محمد زكي شافعي
٤٣٣ البترول والحرب المقبلة (مصورة)
٤٣٧ الصباغة وصناعة الاصباغ . لثابت افندي ثابت

---

٤٤٣ باب المراسلة والمناظرة * قريش والخليفة . تذكرة الكاتب . اللهجة المصرية . صحة اخبار التوراة
٤٥٢ باب الزراعة * نظام الاباعد واداراتها . زراعة القطن في بلاد الشام . القطن وتجارة مصر الخارجية . دود اللوز وخسارة القطن
٤٦١ باب تدبير المنزل * ما نأكل وكيف يهضم . كيف نعيش مائة عام
٤٦٥ باب التقريظ والانتقاد * الصحائف . مي . تاريخ عمر بن الخطاب . كتاب الدستور المصري . تاريخ هنيبال
٤٦٩ باب المسائل * وفيه ١٧ مسألة
٤٧٥ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٨ نبذة